سلسلة رسائل دعوية

(٣)

مدخل إلى علم القراءات

دكتور عبد العواد السيوطي



إصدار موسوعة اعرف دينك العلوم الشرعية



بسم الله الرحمن الرحيم

..تمهيد.. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي الكريم وبعد..

يسر موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية نشر عدة رسائل الكترونية دعوية لكثير من الأفاضل ،وقصيرة إلا القليل منها وهذه منها ،وغايتنا نشر العلم بالتحميل المباشر من صفحاتنا المختلفة للتيسير من جهة وحفظ العلم.من جهة أخري.

والنشر متاح للجميع طالما كان يستحق مع عمل غلافة تليق بالرسالة وأذن منه..والملاحظ أن أغلب الناس من العامة أمثالنا لا وقت عندهم لقراءة المطولات بسبب الغلاء والمعاش ،ومع تعطشهم لمعرفة دينهم ..كانت فكرة عمل الرسائل والمطويات البسيطة لنشر العلم ومجانًا بالتحميل المباشر دون تعقيد ..

وقد تكون الرسالة فقهية أو سياسية أو علمية ومنهجية أو في الرقائق أو علوم القرآن ..الخ

فالرسائل الدعوية القصيرة والمطويات الجذابة البسيطة سهلة لقاري هذا العصر التي يلهث فيه بسرعة ..فلا وقت عنده للقراءة والاطلاع وحتي الاستماع ..فهو يريد البساطة والسهولة واليسر والمعلومة دون تطويل وتبسيط !!

وقطعًا هناك المتعطش للعلم والمتعمق وهذا وذاك له نصيب في موسوعاتنا،وننشر لأهل العلم من الأفاضل وطلابه من مصر ولبنان والأردن والجزائر والمغرب وغير ذلك من الدول العربية والإسلامية والجميع مرحب به.

وهذه الرسالة الثالثة من سلسلة الرسائل الدعوية المرقمة ،وجعلناها مسلسلة دون تكرار فمن أراد البحث عنها حتي أن لم يتذكر عنوانها ويكفي معرفة الرقم المسلسل للرسالة.

ورسالتنا تلك للشيخ الفاضل والدكتور عبد الجواد السيوطي–حفظه الله–وقد اتحفنا بها لنشرها دعويًا وسبق نشر بعض كتبه في موسوعاتنا

ونسأل الله تعالي أن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات الجميع.. المؤلف والناشر والدال علي الخير بنشرها وتداولها فهو كفاعله ،وفضل الله واسع وعظيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي الآمين

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة تيسير التجويد والقراءات

الكتاب الثاني: مدخل إلى علم التجويد والقراءات:

مقدمة:

الحمد لله الذي فضل هذه الأمة بالقرآن على جميع الأمم، وآتاها به ما لم يؤت أحدا من العالمين. وقد أنزله الله هدايةً عالميةً دائمةً، وجعله الله ختامًا للشرائع السماوية، ثم جعل له من نفسه حُجّة على الدهر قائمة. والصلاة والسلام على رسولنا الذي كان خلقه ووصيته القرآن، وجعله ميراثه لمن تبِعه، القائل: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" رواه البخاري.

فاللهم كما أعطيتنا حَظًّا من وراثة القرآن الكريم، ويسّرت علينا حفظه وتذكُّره، فحبِّب إلينا تلاوته وتدبره، اللهم اجعلنا من خيار وارثيه الذين هم بهدايته مستمسكون، وإلى تعلّمه وتعليمه من الداعين، والذين هم على حراسته قائمون، والذين هم تحت رايته يوم القيامة يبعثون، في جند إمامنا ورسولنا –صلى الله عليه وسلم–.

وبعد..

فإن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للإسلام التي لا تزيد بمضيّ الزمان أو بالتقدم العلمي إلا رسوخا في التحدّي والإعجاز والبيان، أنزله الله على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم، فكان – صلى الله عليه وسلم – يبلغه الصحابة الكرام –وقد كانوا عربًا خُلّصًا – فكانوا لطبيعتهم ولسانهم العربيّ يفهمونه كما يُراد فهمه، وكانوا إذا التبس عليهم فَهْم بعض الآيات يسألونه – صلى الله عليه وسلم – عما استُشكل عليهم فهمه.

روى البخاريّ ومسلم عن ابن مسعود قال: "لما نزلت هذه الآية: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم}. [الأنعام: ٨٢] شَقّ – صَعُبَ – ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله، وأيّنا

لا يظلم نفسه؟ قال: "إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: {إن الشرك لظلم عظيم}. [لقمان: ١٣]. إنما هو الشرك".

أخرج مسلم وغيره عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول وهو على المنبر: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة} [الأنفال: ٦٠]، "ألا إن القوة الرَّمي".

وحرص الصحابة – رضوان الله عليهم – على تلقي القرآن الكريم من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وفهمه وحفظه، وكان ذلك شرفا لهم.

وإنه من الأهمية بمكان معرفة ما يجب على قارئ القرآن تجاه كتاب ربه – سبحانه وتعالى – وينبغي على مَن يريد قراءة القرآن أن يعرف ما يجب عليه معرفته من البدايات المطلوبة له والواجبة عليه من علوم القرآن الخاصة بالرسم العثماني وأبرز علامات ضبط المصحف (خاصة مصحف المدينة المنورة).

ولهذا فقد تعرضت في كتابي هذا باختصار شديد لبعض هذه الأمور التي ينبغي على كل مسلم قارئ للقرآن أن يتعلمها. مثل مراحل نزول القرآن، ومعنى الأحرف السبعة والحكمة من نزول القرآن بها، وشيئًا يسيرًا عن المكي والمدني وخصائص كل منهما، وما يجب على القارئ معرفته من فضل تلاوة القرآن وآدابها، ومراتب التلاوة.

كما حاولت جاهدًا الكلام باختصار عن أركان القراءة الصحيحة، وأقسام القراءات من حيث التواتر والشذوذ، وأقسامها من حيث القبول والردّ، وقمت بترجمة للإمام الشاطبي وابن الجزري، وللقراء العشرة وأشهر رواتهم، إلى غير ذلك من الموضوعات التي لا يسع القارئ جهله بها، بل عليه معرفتها والإلمام بها حتى يكون قارئًا ومقرئًا لكتاب الله على الحقيقة.

والله من وراء القصد.

وكتبه: راجي عفو ربه:

الدكتور: عبد الجواد بن أحمد آل موسى السيوطي.

تمهيد:

أَذِن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لبعض الصحابة ممن يعرفون القراءة والكتابة بكتابة الحديث النبوي، لكن القرآن الكريم ظل يعتمد على الرواية بالتلقين في عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وفي خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

جاءت خلافة عثمان رضي الله عنه، واقتضت الدواعي إلى جمع المسلمين على مصحف واحد، فتَمّ ذلك، وسُمّيَ بالمصحف الإمام، وأُرسِلَت منه نسخ إلى الأمصار، وسُمّيَت كتابته بالرسم العثماني نِسْبَة إليه، ويعتبر هذا بداية "لعلم رسم القرآن".

ثم كانت خلافة علي –رضي الله عنه– فوضع أبو الأسود الدُّؤَلِيّ قواعد النحو بأمر منه، صيانة لسلامة النطق، وضبطا للقرآن الكريم، ويعتبر هذا كذلك بداية لـ"علم إعراب القرآن"(١).

التعريف بعلوم القرآن.

وتُعرف بالعلوم التي تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله وترتيبه، وجمعه وكتابته، وقراءاته وتجويده، وعلوم التفسير ومعرفة المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وإعجازه، وإعرابه ورسمه، وعلم غريب القرآن، وغيرها من العلوم المتعلقة بالقرآن. وتُعرف أيضًا بأنها جميع العلوم والبحوث التي تتعلق بالقرآن، أو كل ما يتصل بالقرآن من عُلوم.

ويُطلق عليها كذلك علوم التنزيل، أو علوم الكتاب، وقد عدّ الزركشي (٢) علوم القرآن في كتابه البرهان في علوم القرآن سبعة وأربعين عِلمًا وقال: «واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره ثم لم يُحكم أمره"، وأوصلها جلال

---

[1] – مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٥– ٦).

[2] – أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، ولد بمصر سنة ٧٤٥هـ. له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) و (لقطة العجلان) في أصول الفقه، و (البحر المحيط) ثلاث مجلدات في أصول الفقه، و (البرهان في علوم القرآن) و (الديباج في توضيح المنهاج) في الفقه. وغيرها من الكتب. وتوفي بمصر سنة ٧٩٤هـ. الأعلام للزركلي (٦/٦٠).

الدين السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن إلى ثمانين علمًا ، وقال: «فهذه ثمانون نوعًا على سبيل الإدماج ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمائة، وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة وقفت على كثير منها". ومن أشهر المباحث والعلوم المنبثقة من علوم القرآن، علم التجويد والقراءات.

يقول محمد عبد العظيم الزرقاني (١): "موضوعه هو مجموع موضوعات تلك العلوم المنضوية تحت لوائه. وموضوع كل واحد منها هو القرآن الكريم من ناحية واحدة من تلك النواحي. فعلم القراءات مثلا موضوعه القرآن الكريم من ناحية لفظه وأدائه وعلم التفسير موضوعه القرآن الكريم من ناحية شرحه ومعناه وهكذا باقي العلوم الخاصة به"(٢).

النشأة والتدوين لعلوم القرآن:

يُؤرخ كثير من العلماء لنشأة وتدوين علوم القرآن بوقت جمع القرآن في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان في مصحف واحد، وعلى رسم واحد للقرآن، والذي سُمى فيما بعد بـ «علم رسم القرآن»، كانت هذه هي البداية الحقيقية لهذا العلم الأصل، ثم توالت بعد ذلك العلوم المتفرعة منه كـ (تنقيط حروف القرآن) ثم وُضع أساس علم النحو العربي في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب، بعد أن أمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع بعض القواعد، لحماية القرآن من العُجْمة واللَّحن، وفي عصر الدولة الأموية ساهم عدد من الصحابة والتابعين في وضع الأساس لعلم التفسير، وعلم أسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم غريب القرآن.

ثم توالت بعد ذلك التآليف في أنواع علوم القرآن الأخرى، بدايةً من التأليف في علم التفسير في عصر التابعين، مثل تفسير مجاهد بن جبر وتفسير مقاتل وهما أهم وأعلم

---

[١] – محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (بضم الزاي) من أهالي الجعفرية بمحافظة الغربية من مصر. ونسبته إلى زرقان وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية. ولد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري من علماء الأزهر الشريف بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة. من أهم كتبه (مناهل العرفان في علوم القرآن). توفي رحمه الله سنة ١٣٦٧هـ. الأعلام للزركلي.

[٢] – مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٢٧).

الآخذين عن ابن عباس– رضي الله عنه – تفسيره للقرآن الكريم. وكذلك تفاسير شعبة بن الحجاج، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح. ثم تلاهم شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري والذي أنهى كتابة تفسيره سنة ٢٧٠هـ. وكذلك قام كثير من العلماء بالتأليف في علوم القرآن الأخرى، كإمام المحدثين علي بن المديني (ت ٢٣٤هـ) الذي ألّف كتابه «أسباب النزول»، وألّف العلاّمة أبو عبيد القاسم بن سلّام (ت ٢٢٤هـ) في الناسخ والمنسوخ. وألّف أبو بكر السجستاني (نزهة القلوب في غريب القرآن)، والإمام أبو الحسن الحوفي كتابه «البرهان في إعراب القرآن»، وهو من أوائل من ألف في إعراب القرآن.

ثم تتابعت التآليف في مباحث علوم القرآن في العصور التالية. فبدأ في القرن الخامس الهجري ظهور مصطلح علوم القرآن، وأول من كتب فيه هو أبو الحسن الحوفي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» في ثلاثين مجلدًا ، ثم ألّف ابن الجوزي كتابين هما: «فنون الأفنان في عيون علوم القرآن» وهو كتاب مهم جدًا لكل مَن يريد التعرّف على القرآن الكريم عن قُرب، وكذلك كتاب «المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن». ثم جاء القرن السابع الهجري واشتغل العلماء وأكثروا من التأليف فألّف عَلَم الدين السخاوي كتابه الماتع الرائع «جمال القراء»، وألّف أبو شامة المقدسي كتاب «المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز». ودخل القرن الثامن الهجري. ومن أشهر العلماء الذين ألّفوا في علوم القرآن الإمام بدر الدين الزركشي وكتابه البرهان في علوم القرآن، وكذلك ألّف ابن تيمية رسالته الشهيرة في أصول التفسير، وقد اشتملت على بعض موضوعات علوم القرآن، وكذلك كتاب محمد بن سليمان الكافيجي في القرن التاسع الهجري، وألّف جلال الدين البلقيني كتابه مواقع العلوم من مواقع النجوم، وفي القرن العاشر الهجري ألّف جلال الدين السيوطي كتاب الإتقان في علوم القرآن وهو من أشهر الكتب وأوسعها في هذا الباب.

ومن الأمثلة للمؤلفات المعاصرة في مباحث علوم القرآن:

إتقان البرهان في علوم القرآن، لفضل حسن عباس.

- منهج الفرقان في علوم القرآن، لمحمد علي سلامة.

- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرقاني.
- مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح.
- مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان.
- مباحث في علوم القرآن، لمساعد الطيار.
- الواضح في علوم القرآن، لمصطفى ديب البغا.
- التبيان في علوم القرآن، لطاهر الجزائري. وغيرها من الكتب المطوّلة أو المختصرة التي تكلمت عن علوم القرآن.

واندرج تحت علوم القرآن عدة مباحث وعلوم أخرى، من علوم التنزيل والتلاوة والتدوين والتأويل والتدليل، واختلف العلماء في إحصاء مباحث علوم القرآن وعددها، وكيفية تقسيمها، وأول من قسّمها كما ذكر ذلك الإمام السيوطي عن العلّامة جلال الدين البُلقيني فقال: "**فأردت أن أذكر في هذا التصنيف ما وصل إلى علمي مما حواه القرآن الشريف من أنواع علمه المنيف وينحصر في أمور:**

"الأمر الأول: مواطن النُّزول وأوقاته ووقائعه، وفي ذلك اثنا عشر نوعًا : المكي، المدني، السفري، الحضري، الليلي، النهاري، الصيفي، الشتائي، الفراشي، النومي، أسباب النُّزول، أول ما نزل، آخر ما نزل.

الأمر الثاني: السند، وهو ستة أنواع: المتواتر، الآحاد، الشاذ، قراءات النبي صلّى الله عليه وسلّم، الرواة، الحفاظ.

الأمر الثالث: الأداء، وهو ستة أنواع: الوقف، الابتداء، الإمالة، المد، تخفيف الهمزة، الإدغام.

الأمر الرابع: الألفاظ، وهو سبعة أنواع: الغريب، المعرب، المجاز، المشترك، المترادف، الاستعارة، التشبيه.

الأمر الخامس: المعاني المتعلقة بالأحكام، وهو أربعة عشر نوعًا : العام الباقي على عمومه، العام المخصوص، العام الذي أريد به الخصوص، ما خص فيه الكتاب السُّنة، ما

خصصت فيه السُّنة الكتاب، المجمل، المبين، المؤول، المفهوم، المطلق، المقيد، الناسخ، والمنسوخ، نوع من الناسخ والمنسوخ وهو ما عمل به من الأحكام مدة معينة والعامل به واحد من المكلفين.

الأمر السادس: المعاني المتعلقة بالألفاظ، وهي خمسة أنواع: الفصل، الوصل، الإيجاز، الإطناب، القصر(١).

وأهم فائدة يجنيها طالب هذا العلم: تحصيل الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم، والتسلُّح بالمعارف القيّمة فيه، والتي لابد منها لكل طالب علم، مستعدًا لحسن الدفاع عن كتاب ربنا العزيز ضد من يحولون تشويه صورته أمام غير المسلمين.

- أمثلة للعلوم التي تندرج تحت مسمّى علوم القرآن.

١. علم نزول القرآن.
٢. علم القراءات والتجويد، وما يرجع إلى كيفية أدائه، وآداب تلاوته وأحكامها.
٣. علم جمع القرآن وتدوينه.
٤. علم الرسم والضبط.
٥. علم عَدّ الآيات.
٦. علم فضائل القرآن.
٧. علم خصائص القرآن.
٨. علم مبهمات القرآن.
٩. علم سوره وآياته.
١٠. علم الوقف والابتداء.
١١. علم المكّي والمدني.
١٢. علم أسباب النزول.

[1] – الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (١/ ١٧). المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م. المحرر في علوم القرآن، د. مساعد بن سليمان الطيار، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م (ص: ٤٥).

١٣.	علم التفسير، ويدخل تحته علم أصول التفسير، علم طبقات المفسرين ومناهج المفسرين وغيرها.
١٤.	علم أمثال القرآن.
١٥.	علم أقسام القرآن.
١٦.	علم الوجوه والنظائر.
١٧.	علم الأحكام الفقهية المستنبطة منه.
١٨.	١٨.علم الناسخ والمنسوخ.
١٩.	علم العام والخاص.
٢٠.	علم المطلق والمقيّد.
٢١.	علم المجمَل والمبيّن.
٢٢.	علم المحكم والمتشابه.
٢٣.	علم معاني القرآن.
٢٤.	علم متشابه القرآن.
٢٥.	علم إعراب القرآن.
٢٦.	علم أساليب القرآن.
٢٧.	علم لغات القرآن، ويشتمل على ما نزل بغير لغة الحجاز، وما نزل بغير لغة العرب، وهو ما يسمى بالمعَرّب.
٢٨.	علم غريب القرآن.
٢٩.	الإعجاز العلمي في القرآن.

وغير ذلك من العلوم التي تندرج تحت علوم القرآن الكريم.

عِلم ضبط المصحف ودواعيه.

يُقصد بعلم ضبط المصحف: التحسينات والتجويدات للرسم العثماني للقرآن الكريم، وقد تمثلت بقواعد وضوابط تساعد على القراءة الصحيحة للقرآن، مثل تنقيط الحروف القرآنية، ووضع الحركات مثل الفتحة والضمة والكسرة والسكون والتنوين، ووضع علامات الوقف

والابتداء، وجعل الأحرف الصغيرة التي تدل على ما تدل عليه من حروف كبيرة، وعلامات المد والإمالة في القراءات الأخرى المتواترة وغيرها.

فائدة وملاحظة : ضبط المصحف مَبْنِيٌّ على الوصل لا على الوقف، ولذلك نجد نهايات الكلمات ونهاية الآيات، ونهايات السُّور كلها موجود عليها الحركات الإعرابية.

من دواعي ضبط المصحف.

أول بداية كتابة المصاحف العثمانية كانت خالية من النَقْط والشَّكْل كما كان عادة العرب في ذاك العصر، وكان الاعتماد آنذاك في القراءة على ما كُتب من الخط والسليقة العربية السليمة، والتلقّي للقرآن بالمشافهة، ولما كثُرَت الفتوحات الإسلامية واتسعت رقعة الإسلام ودخل غير العرب فيه أفواجًا ، وبسبب هذا وغيره بدأ يظهر الخطأ في اللغة العربية لطبيعتهم البعيدة عن اللغة، ومن ثم شاع الخطأ في تلاوة القرءان، مما دعا العلماء وأولوا الأمر إلى وضع أصول وقواعد لهذا العلم يساعد القارئ على القراءة الصحيحة للقرآن وسمي هذا العلم بـ (علم الضبط).

مختصر للمراحل التي مرّ بها ضبط المصحف.
التنقيط والتشكيل وهو أنواع منها:

١. نَقْط الإعراب:

ونَقْط الإعراب يُقصد به النقاط التي تفرق بين الحركات كـ(الفتحة والضمة والكسرة)، وأول من وضعها هو أبو الأَسْوَد الدُّؤَلِي وذلك بطَلَب من والي البصرة آنذاك زياد بن عبيد الله، والذي كلّف أبو الأَسْوَد الدُّؤلي بأن يضع للناس علامات تدل على الحركات والسكنات، فقام أبو الأَسْوَد بتنقيط المصحف وجعل النقطة التي تكون فوق الحرف المفتوح علامة على الفتحة (َ)، والنقطة التي تكون بين يدي الحرف المضموم علامة على الضمة (ُ)، والنقطة التي تكون تحت الحرف المكسور علامة على الكسرة (ِ)، وجعل النقطتين فوق علامة

على التنوين بالفتح (ً) والضم (ٌ) وجعل النقطتين تحت علامة على التنوين بالكسر (ٍ). وكل ذلك بمداد (حِبر) يخالف لونه لون مداد (حِبر) المصحف.

قال الإمام الداني عن كيفية تنقيط المصحف لأبي الأسود الدؤليّ: "فَاخْتَارَ مِنْهُم أَبُو الْأَسود عشرَة ثمَّ لم يزل يخْتَار مِنْهُم حَتَّى اخْتَار رجلا من عبد الْقَيْس فَقَالَ خُذ الْمُصحف وخذ صبغا (حِبرًا) يُخَالف لون المداد فَإِذا فتحت شفتيَّ فانقط وَاحِدَة فَوق الْحَرْف وَإِذا ضممتهما فَاجْعَلْ النقطة إِلَى جَانب الْحَرْف وَإِذا كسرتهما فَاجْعَلْ النقطة فِي أَسْفَله فَإِن اتبعت شَيْئا من هَذِه الحركات غنة فانقط نقطتين. قال: فابتدأ بالمصحف حَتَّى أَتَى على آخِره".

فائدة وملاحظة: يُعدّ أبو الأسود الدُّؤَلِي – رحمه الله – أول من قام بضبط المصحف.

٢. نَقْط الإعجام:

نقط الإعجام هو النقاط الموجودة فوق أو تحت الحروف، والتي بها يفرّق بين الأحرف المتشابهة كـ (الجيم، والخاء، والحاء، والياء، والباء، والتاء، والثاء، والطاء، والظاء، والصاد، والضاد)، ولقد وضعها نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر من الحَجّاج بن يوسف الثقفي واليَ للعراق آنذاك، زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، فقاما بنقط الحروف المتشابهة بخطوط مائلة صغيرة بلون مداد المصحف حتى لا تختلط مع نقاط الإعراب.

فائدة وملاحظة:

- تسمى الحروفُ غير المنقوطة كـ (الصاد، العين، الطاء، السين) بالحروف المهملة.
- تسمى الحروف المنقوطة كـ (الضاد، الغين، الظاء، الشين) بالحروف المعجمة.

٣. الحركات:

الحركات هي عبارة عن تحسينات قام بها إمام اللغة العربية في زمانه الخليل بن أحمد الفراهيدي شيخ سيبويه على نَقْط الإعراب في الكلمات القرآنية، فقام بتشكيل الكلمات بالحركات بدلًا من النقط بدلًا من النُقط التي فعلها أبو الأسود الدؤليّ: فجعل الخليل بن

أحمد الفتحة عبارة عن شكلة مستطيلة فوق الحرف، والكسرة عبارة عن شكلة مستطيلة تحت الحرف، والضمة واوًا صغيرة فوق الحرف، والتنوين زيادة مثلها؛ ووضع بعض علامات الضبط كالهمز والتشديد، وكتابة الألف المحذوفة والمبدل منها حمراء، وكتابة الهمزة المحذوفة همزة لكن بلا حرف وتكون حمراء أيضًا، ووضع على النون والتنوين قبل الباء علامة إقلاب حمراء، وقبل حروف الإظهار سكون، وتُعَرّى عند الإدغام والإخفاء.

٤. التطورات المتلاحقة للمصحف العثماني.

ثم تطور تحسين التشكيل والتحسين للمصحف أكثر وأكثر، حيث تحول نقط الإعراب من نقاط حمراء إلى حركات، واستُبدلت نُقَط الإعجام من خطوط مائلة صغيرة إلى نقاط كما نراها الآن وجرى العمل على ذلك إلى عصرنا، وأخذ التحسين للمصحف العثماني يتدرج في أطوار متلاحقة فتم وضع أسماء السور وعدد الآيات، والرموز التي تشير إلى رءوس الآي، وعلامات الوقف، والتجزئة، والتحزيب، وغير ذلك من وجوه التحسين للمصحف الشريف.

من فوائد ضبط المصحف:

١. مساعدة قارئ القرءان ليقرأه قراءة صحيحة.

٢. إرشاد القارئ إلى معرفة أحكام التلاوة وتطبيقها تطبيقًا صحيحًا .

٣. .ساعدة القارئ إلى معرفة المواضع التي يجوز فيها الوقف والابتداء وما يمتنع.

٤. التيسير على مَن يريد الحفظ بعلامات الآيات والأحزاب والأجزاء.

٥. الإعانة على التدبر والتأنّي في قراءة القرآن الكريم.

٦. حفظ القرآن الكريم من الضياع أو التبديل والتحريف.

من أبرز علامات الضبط:

من محاور علامات ضبط المصحف ما يلي:

١. التشكيل.

٢. قواعد الضبط والرسم العثماني.

٣. علامات الحروف في المصحف.

٤. علامات وأحكام المدود في المصحف.

٥. علامات وأحكام النون الساكنة والتنوين في المصحف.

٦. علامات وأحكام الميم الساكنة.

٧. علامات وأحكام الوقف والقطع.

٨. أحكام تتعلق بالرواية القرآنية.

٩. ارشادات وتقسيمات.

التشكيل في الرسم العثماني للمصحف.

- رأس حاء صغيرة (ۡ) فوق الحرف: يدل على أن الحرف ساكن نحو (اللام) في: ﴿قُلۡ أَعُوذُ﴾ [الفلق: ١].

- الضمة (ُ) فوق الحرف: تدل على أن الحرف مضموم نحو (القاف) في: ﴿قُلۡ﴾ [الإخلاص: ١].

- الفتحة (َ) فوق الحرف: تدل على أن الحرف منصوب نحو (الواو) في: ﴿هُوَ﴾ [الإخلاص: ١].

- الكسرة (ِ) تحت الحرف: تدل على أن الحرف مكسور نحو (الميم) في: ﴿مِن﴾ [الفلق : ٢].

- الشدة (ّ) فوق الحرف: تدل على أن الحرف مشدد نحو (الضاد) في: ﴿ ٱلضَّآلِّين ﴾ [البقرة : ١٨٩].

- تنوين الضم (ٌ) فوق الحرف: يدل على أن الحرف منون بالضم نحو (التاء) في: ﴿ مَّعۡلُومَٰتٞۚ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

- تنوين الفتح (ً) فوق الحرف: يدل على أن الحرف منون بالفتح نحو (الراء) في: ﴿ ذِكۡرٗاۗ ﴾ [البقرة : ٢٠٠].

- تنوين الكسر (ٍ) تحت الحرف: يدل على أن الحرف منون بالكسر نحو (القاف) في: ﴿خَلَٰقٖ﴾ [البقر : ٢٠٠].

قواعد الضبط والرسم العثماني.

- الحروفُ الصغيرة: تدل على الحرف المحذوف رسمًا في المصاحف العُثْمانية والثابت لفظًا نحو (الألف) في: ﴿وَإِسۡحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

- حرف صغير فوق الحرف: يدل على وجوب قراءة الحرف الصغير لا الحرف الذي تحته نحو قراءة الواو ألف في: ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ، ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أينما وردت.

- صفر مستدير (۟) تحت الحرف: يدل على أن الحرف محذوف لفظًا وصلًا ووقفًا نحو: ﴿قَوَارِيرَا۟﴾ [الإنسان: ١٦].

- ياء صغير معكوفة: تدل على ياء زائدة نحو: ﴿ يَسۡتَحۡيِۦٓ ﴾ [البقرة: ٢٦].

علامات الحروف في المصحف.

- رأس خاء صغيرة (ۡ) فوق الحرف: يدل على أن الحرف مظهر عند الحرف الذي بعده نحو (اللام) في: ﴿قُلۡ أَعُوذُ﴾ [الناس: ١].

- تعرية الحرف من علامة السُّكُون مَع تَشْدِيدِ الحرفِ التالي: يدُلُّ على إِدْغَامِ الحرف الأَوَّلِ في الثَّانِي إِدْغَامًا كَامِلًا نحو إدغام (الدال في التاء) في: ﴿قَد تَّبَيَّنَ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

- تعرية الحرف من علامة السُّكُون مَع عدم تَشْدِيدِ الحرفِ التالي: يدُلُّ على إِدْغَامِ الحرف الأَوَّلِ في الثَّانِي إِدْغَامًا ناقِصًا نحو إدغام (الطاء في التاء) في: ﴿بَسَطتَ﴾ [المائدة: ٢٨]، أو إخفاء النون الساكنة عند حرف الإخفاء الذي يليها نحو: ﴿مَن ذَا﴾ [البقرة: ٢٥٥].

علامات وأحكام المدود في المصحف.

- علامة (ٓ) فوق حرف المد: تدل على وجوب مدّه مدّا زائدا على المدّ الأصلي الطبيعي نحو: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢].

- واو صغيرة (ُ) أو ياء صغيرة (ٖ) بعد هاء الكناية: تدل على مد الصلة الصغرى نحو: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠].

- واو صغيرة (ُ) أو ياء صغيرة (ٖ) بعد هاء الكناية ويأتي بعدها همزة القطع فإنها تدل على مد الصلة الكبرى نحو: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ﴾ [الإسراء: ٤٢].

علامات وأحكام النون الساكنة والتنوين في المصحف.

- رأس حاء صغيرة فوق النون: تدل على أن النون مظهرة عند الحرف الذي بعدها نحو: ﴿ مَنۡ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤] (علامة الإظهار الحلقي).

- حركتان مركبتان فوق الحرف المُنون المفتوح أو المضموم أو تحت الحرف المنون المكسور: تدل على أن نون التنوين مظهرة عند الحرف الذي بعدها نحو: ﴿لَأَجۡرًا غَيۡرَ﴾ [القلم: ٣]، ﴿مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الملك: ٢٨]، ﴿أَيۡمَـٰنٌ عَلَيۡنَا﴾ [القلم: ٣٩] (علامة الإظهار الحلقي).

- تعرية النون الساكنة من السكون مَع تَشْدِيدِ الحرفِ التالي: تدل على إدغام النون الساكنة في الحرف الذي يليها إدغامًا كاملًا نحو: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ [يس: ٦٨] (علامة الإدغام الكامل).

- تعرية النون الساكنة من السكون مَع عدم تَشْدِيدِ الحرفِ التالي: تدل على إدغام النون الساكنة في حرف الإدغام الذي يليها إدغامًا ناقصًا نحو: ﴿مَن يَقُولُ﴾ [البقرة: ٨] (علامة الإدغام الناقص) أو إخفاء النون الساكنة عند حرف الإخفاء الذي يليها نحو: ﴿عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] (علامة الإخفاء الحقيقي).

- حركتان متتابعتان غير متطابقتين مع تشديد الحرف التالي: تدل على إدغام نون التنوين في حرف الإدغام الذي يليها إدغامًا كاملًا نحو: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [القلم: ١٢]، ﴿حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠]. (علامة الإدغام الكامل).

- حركتان متتابعتان غير متطابقتين مع عدم تشديد الحرف التالي: تدل على إدغام نون التنوين في حرف الإدغام الذي يليها إدغامًا ناقصًا نحو: ﴿شَيْـًٔا وَقِيلَ﴾ [التحريم: ١٠]، ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥]، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ﴾ [الزلزلة: ٦] (علامة الإدغام الناقص) أو إخفاء نون التنوين عند حرف الإخفاء الذي يليها نحو: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا﴾ [البلد: ١٦]، ﴿فَوْجٌ سَأَلَهُمْ﴾ [الملك: ٨] ، ﴿شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨] (علامة الإخفاء الحقيقي).

- ميم صغيرة (ۢ) فوق النون: يدل على أن النون الساكنة التي يليها حرف الباء قد قلبت إلى ميم نحو: ﴿ لَيُنۢبَذَنَّ ﴾ [الهمزة: ٤]، ﴿مِنۢ بَعۡدِ ﴾ [الروم: ٣] (علامة الإقلاب).

- ميم صغيرة (ۢ) فوق الحركة: يدل على أن نون التنوين الذي يليها حرف الباء قد قلبت إلى ميم نحو: ﴿لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥]، ﴿لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٥٤] ، ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ﴾ [الأنبياء: ٥] (علامة الإقلاب).

علامات وأحكام الميم الساكنة.

- رأس خاء صغيرة فوق الميم: يدل على أن الميم مظهرة عند الحرف الذي بعدها نحو: ﴿ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا ﴾ [الأنبياء: ٣١] (علامة الإظهار الشفوي).

- تعرية الميم الساكنة من السكون مَع تَشْدِيدِ الحرفِ التالي: يدل على إدغام الميم الساكنة في الميم المتحركة نحو: ﴿لَكُم مَّا﴾ [النساء: ٢٤] (علامة الإدغام الشفوي).

- تعرية الميم الساكنة من السكون مَع عدم تَشْدِيدِ الحرفِ التالي: يدل على إخفاء الميم الساكنة عند الباء نحو: ﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ ﴾ [الأنبياء: ٢٦] (علامة الإخفاء الشفوي).

علامات وأحكام الوقف والقطع.

- علامة (ۘ) على آخر الكلمة: تدل على الوقف اللازم نحو الوقف على (قَوۡلُهُمۡۘ) في: ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ [يس: ٧٦].

- علامة (ۚ) على آخر الكلمة: تدل على أن الوقف أو الوصل جائزان بالتساوي نحو الوقف على (مِثۡلَهُمۚ) في: ﴿ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

- علامة (ۖ) على آخر الكلمة: تدل على الوقف الجائز مع كون الوصل أوْلَى نحو الوقف على كلمة (أَوَّلَ مَرَّةٖۖ) في: ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٩].

- علامة (ۙ) على آخر الكلمة: تدل على الوقف الممنوع إذا كانت في وسط آية نحو الوقف على (ٱلۡهُدَى ۙ) في: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ۙ ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ [محمد: ٢٥]، أو القطع الممنوع إذا كانت على رأس آية.

- علامة (ۗ) على آخر الكلمة: تدل على الوقف الجائز مع كون الوقف أوْلَى نحو الوقف على (إِيمَٰنِهِمۡۗ) في: هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الفتح: ٤].

- ثلاث نقط صغيرة فوقية: وهو ما يسمى بوقف المعانقة، ويدل على جواز الوقف على أحد الموضعين وليس كلاهما نحو الوقف على: (لَا رَيۡبَۛ) أو (فِيهِۛ) من قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] وليس كلاهما.

أحكام تتعلق برواية حفص.

- علامة (ۜ) صغيرة على آخر الكلمة: تدل على السكت نحو السكت على (مَّرۡقَدِنَاۜ) في قوله: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا ﴾ [يس: ٥٢].

- صفر مستطيل (۠) فوق الحرف: يدل على أن الحرف يحذف وصلًا فقط ويثبت عند الوقف نحو (الألف) في: (لَّٰكِنَّا۠) في قوله: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾ [الكهف: ٣٨].

- نقطة معينة فوقية خالية الوسط (۫) : تدل على الإشمام نحو (النون) في: (تَأۡمَ۫نَّا) ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١١]. – وهي الكلمة الوحيدة في القرآن التي فيها إشمام في رواية حفص عن عاصم–.

- نقطة معينة تحتية خالية الوسط (۪) : تدل على الإمالة نحو كلمة: (مَجۡر۪ىٰهَا) – وهي الكلمة الوحيدة في القرآن المُمَالة في رواية حفص عن عاصم– في قوله تعالى: (﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡر۪ىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ ﴾ [هود: ٤١].

- نقطة مستديرة فوقية مسدودة الوسط (۬) : تدل على التسهيل نحو (الهمزة الثانية) كما في: (ءَا۬عۡجَمِيٌّ) في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]. – وهي الكلمة الوحيدة في القرآن المُسهّلة في رواية حفص عن عاصم–.

- سين صغيرة (ۜ) أعلى الصاد: تدل على جواز النطق بالسين أو الصاد والسين أولى كما في: (بَصۜۡطَةٗۖ) في قوله: ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ ﴾ [الأعراف: ٦٩].

- سين صغيرة (صٜ) أسفل الصاد: تدل على جواز النطق بالسين أو الصاد والصاد أولى كما في (ٱلۡمُصَۣيۡطِرُون). في قوله تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۣيۡطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٧].

علامات ضبط أخرى:

- علامة (۝١): هي علامة رأس الآية القرآنية، وتدل على نهاية الآية ورقمها نحو: ﴿حمٓ ۝١﴾ [فصلت: ١].

- علامة (۞) : تدل على نهايات الأجزاء والأحزاب وأنصافها كما تدل على علامة الأرباع نحو: ﴿ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ۝٨٢ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ۝٨٣ ﴾ [الصافات: ٨٢-٨٣].

- علامة (۩) مع وجود خطٍّ أُفقيٍّ فوق كلمة: تدل على وجود سجدة آخر الآية، والخط الأفقي فوق الكلمة – في بعض المصاحف – يدل على وجود سجدة التلاوة عند هذا الموضع نحو: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩﴾ [العلق: ١٩].

القرءان الكريم وكيفية نزوله.

معنى القرآن في اللغة والاصطلاح.

القرآن في الأصل مصدر على وزن فُعْلان بالضم، كالغُفْران والشُكْران والتُكْلان. تقول: قرأته قراءة وقرآنًا بمعنى واحد، أي تلوته تلاوة، وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدري

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [سورة القيامة: ١٧- ١٨]. أي قراءته(١).

ثم صار عَلَمًا لهذا الكتاب الكريم. وهذا هو الاستعمال الأغلب، ومنه قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

واصطلاحًا: هو كلام الله تعالى المُعْجِز، المُنزلُ على النبي – صلى الله عليه وسلم –، بواسطة الأمين جبريل – عليه السلام –، باللسان العربيّ، المنقول إلينا بالتواتر، المُتَعَبَد بتَلاوتِه، المُعْجِزُ بألفاظِه، الموجود بين دَفَّتِي المُصْحَف، المَبدُوءِ بِأَوَلِ سورةِ الفاتحة، المَخْتُومِ بآخر سورة الناس. وتعريف القرآن على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية(٢).

مراحل نزول القرءان الكريم.

المقطوع به من دين الإسلام والمُجْمَع عليه عند علماء الأمّة أنّ القرآن الكريم لم ينْزل على نبيّنا – صلى الله عليه وسلم – جُملَةً واحدة كما هو الشّأن في الكتب السّابقة كالتّوراة والإنجيل وغيرها، إنّما نزل القرآن بحسب الوقائع والأحداث منذ بداية بَعْثَة النّبيّ حتّى وفاته – صلى الله عليه وسلم –، كما يُثْبت هذه الحقيقة الخالدة قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى

١ – مناهل العرفان في علوم القرآن، الزُّرْقاني (٤٣/١).

٢ – النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به أحمد مصطفى فضلية، قدم له د. عبد العظيم المطعني، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م. (ص: ٤١). مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص: ٢١).

ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٍ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلاً ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦]،(١). قال ابن عطيّة(٢).

والاستدلال بهذه الآية إنّما هو في قوله: ﴿لِتَقۡرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكۡثٍ﴾، (هذا كان بما أراد الله تعالى من نزوله بأسباب تقع في الأرض من أقوال وأفعال في أزمان محدودة معيّنة)

أي على تَرَسُّلٍ وتُؤَدَة في التلاوة، وهو الترتيل، ورد هذا عن مجاهد وابن عباس وابن جريج وغيرهم، والتأويل الآخر أي على مكث وطُولٍ في المدة شيئا شيئا بعد شيء، وقوله ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلاً﴾. مبالغة وتأكيد بالمصدر للمعنى المتقدم ذكره في ألفاظ الآية.

واستدلّ ابن عبّاس رضي الله عنهما بقوله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانًا فَرَقۡنَٰهُ﴾ على قراءتها بالتّشديد: (فرّقناه) أي نزّلناه مفرّقًا على الوقائع والأحداث على مدار الأيام والسنين(٣).

والحكمة من إنزال القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا قبل إنزاله مفرقا على النبي صلّى الله عليه وسلّم هي: أن إنزاله مرتين على وجهين مختلفين، مرة جملة واحدة، ومرة أخرى مفرقا فيه من الاحتفال به والعناية بشأنه ما ليس في إنزاله مرة واحدة على وجه واحد، ولا شك أن في المزيد من العناية به تعظيما لشأنه وشأن من نزل عليه، ثم إن وضعه في مكان يسمى ببيت العزة، يدل على إعزازه وتكريمه، ومن لوازم هذا تكريم المنزل عليه، وتفخيم شأنه، والله تعالى هو العليم بحقيقة السر في ذلك (٤).

---

[١] – المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف بن عيسى العنزي (ص: ٣٥)، الناشر: مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

[٢] – أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، الغرناطي، مفسر فقيه، أندلسي، ولد سنة٤٨١هـ. بغرناطة. كان عالما بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء إلمرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. من أهم كتبه المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. توفي رحمه الله بلورقة سنة٥٤٢هـ. ينظر الأعلام للزركلي (٢٨٢/٣).

[٣] – تفسير ابن عطية المعروف بـ (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) (٤٩١/٣). تفسير الطبري (٥٧٤/١٧).

[٤] – الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١١٦/١ – ١١٩). مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (٤٥/١)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

المرحلة الأولى.

نزل القرءان الكريم جملة واحدة من الذات الإلهية إلى اللوح المحفوظ، ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢ ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، ولقد كان هذا التَّنَزُّل بطريقة ووقت لا يعلمهما إلا الله ومن أطلعه على غيبه من خلقه.

وحِكمَة هذا النُزول تَرجع إلى الحِكمة العامة من وجود اللوح نفسه وأنه سِجِلّ جامع لكل ما قضى الله وقدّر، وكل ما كان وما يكون من عوالم الإيجاد والتكوين. فهو شاهد ناطق عظيم على مخلوقات الله، ومَظْهَرٌ من المظاهر الدّالّة على عظمة الله وعلمه وإرادته وحكمته وواسع سلطانه وقدرته. ولا ريب أن الإيمان به يقوي إيمان العبد بربه من هذه النواحي ويبعث الطمأنينة إلى نفسه والثقة بكل ما يظهره الله لخلقه من ألوان هدايته وشرائعه.

المرحلة الثانية.

نزل القرءان الكريم جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ ﴾ [القدر: ١]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدّخان: ٣].

المرحلة الثالثة.

نزل القرءان الكريم من السماء الدنيا على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – بواسطة جبريل، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥﴾ [الشّعراء: ١٩٢-١٩٥]، ولقد كان هذا التنزل مفرقًا حسب الحوادث على مدار ثلاث وعشرين عامًا ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ

تَنزِيلاً ﴿١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦]؛ ولعل الحكمة من نزول القرءان منجمًا هي تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وتحدٍّ للمشركين، وتيسير حفظه وفهمه، والتدرّج في التشريع.

يقول الشيخ الزرقاني – رحمه الله –. والإنزال بالإعلام على ما رأيت هو الأقرب والأوفق بالمقام وذلك من وجوه ثلاثة:

أحدها: أن تعلق الكلام تعلق دلالة وإفهام ولا ريب أن القرآن كلام فتأويل إنزاله بالإعلام رجوع إلى ما هو معلوم من تعلقه ومفهوم من تحققه.

ثانيها: أن المقصود من ثبوت القرآن في اللوح وفي سماء الدنيا وفي قلب النبي صلى الله عليه وسلم هو إعلام الخلق بما شاء الله دلالة البشر عليه من هذا الحق.

ثالثها: أن تفسير الإنزال بالإعلام ينسجم مع القرآن بأي إطلاق من إطلاقاته وعلى أي تنزل من تنزلاته (١).

والخلاصة:

أن من حِكَم نزول القرآن مُفَرّقًا تعظيم شأن القرآن، وتشريف وتكريم المنزَّل عليه، كما أشار بعض العلماء لهذا.

يقول السيوطي(٢): "قيل: إن السِّرَّ في إنزاله جملة إلى السماء هو تفخيم أمره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع بأن هذا القرآن هو آخر الكُتب المُنَزّلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لينزله عليهم. ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم مُنَجَّمًا بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جُملَةً واحدةً كسائر الكتب المنزَّلة على الرسل قبله، ولكن الله باعَد بينه وبينها، فجعل له الأمرين: إنزاله جملة، ثم إنزاله مفرقًا، تشريفًا للمُنَزَّل عليه".

---

[١] – مناهل العرفان، الزُّرْقاني (٤٢/١).

[٢] – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب له أكثر من ٦٠٠ مصنف، ولد سنة ٨٤٩هـ. ونشأ في القاهرة يتيما، كان يلقب بابن الكتب، لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب، ففاجأها المخاض، فولدته وهي بين الكتب! ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، فألف أكثر كُتُبه. وبقي على ذلك إلى أن توفي بمصر سنة ٩١١هـ. من كتبه الإتقان في علوم القرآن. والدر المنثور. الأعلام للزركلي (٣٠١/٣).

وقد نزل القرآن منجما في ثلاث وعشرين سنة منها ثلاث عشرة بمكة على الرأي الراجح، وعَشرة بالمدينة، وجاء التصريح بنزوله مفرقا في قوله تعالى﴿وَقُرۡءَانًا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦]، أي جعلنا نزوله مفرقا كي تقرأه على الناس على مَهَلٍ وتَثَبُّت، ونزّلناه تنزيلا بحسب الوقائع والأحداث.

أما الكتب السماوية الأخرى -كالتوراة والإنجيل والزبور- فكان نزولها جملة، ولم تنزل مفرقة، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾، [الفرقان: ٣٢]. فهذه الآية دليل على أن الكتب السماوية السابقة نزلت جملة، وهو ما عليه جمهور العلماء، ولو كان نزولها مفرقا لما كان هناك ما يدعو الكفار إلى التعجب من نزول القرآن منجما"(١).

الحكمة من نزول القرآن الكريم منجّمًا (مفرقًا).

- تُلَخَّص هذه الحِكَم فيما يلي:

١- الحكمة الأولى: تثبيت فؤاد رسول الله، - صلى الله عليه وسلم-.

حيث وجّه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دعوته إلى كفار مكة، فوجد منهم نفورا وإباءً، وتصدى له قوم غلاظ الأكباد، قُساة القلوب، فُطِرُوا على الجَفْوة، وجُبِلُوا على العِناد، فتعرضوا له بصنوف الأذى النفسي والجسدي والمعنوي، مع رغبته – صلى الله عليه وسلم- الصادقة في إبلاغهم الإسلام وإيصال الخير الذي يحمله إليهم، فكان يحزن ويأسف لما يقابلونه به وهو الحريص عليهم المُحبّ لهم حتى كاد أن يهلك من شدة الحزن عليهم، حتى قال الله تعالى فيه: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾ [الكهف: ٦].

[1] – مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (ص: ١٠٤). الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/١٤٨).

ومن ثم فكان الوحي يتنَزّل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فترة بعد فترة، بما يثبت قلبه على الحق، ويشحذ عزمه للمُضِيِّ قُدُما في طريق دعوته، لا يبالي بظلمات الجهالة التي يواجهها من قومه. فإنما هي سحابة صيف عما قريب تنقشع ويدخل الناس في دين الله أفواجًا من أهل مكة ومن غيرها وحتى يصل الإسلام إلى كل مكان على وجه الأرض.

كما كان القرآن يبين للنبي - صلى الله عليه وسلم- سنته في الأنبياء السابقين الذين كُذّبوا وأوذوا من أقوامهم أشدّ الإيذاء، فصبروا حتى جاءهم نصر الله وأهلك المكذبين ونجاة المؤمنين بأنبيائهم. ويوضح القرآن له - صلى الله عليه وسلم- أن قومه لم يكذبوه إلا عُلُوّا واستكبارا ولابد أن يأتيه النصر المبين والفوز الكبير من الله على هؤلاء المكذبين، فيجد عليه الصلاة والسلام في ذلك السنة الإلهية في موكب النبوة عبر التاريخ التي يتأسى بها تسلية له تُجاه أذى قومه، وتكذيبهم له، وإعراضهم عنه. قال تعالى مُسَلِّيًا له: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣، ٣٥].

وقال جلّ في عُلاه ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [٣ آل عمران: ١٨٤].

كما يأمره – سبحانه – في القرآن بالصبر كما صبر الرسل من قبله في قوله: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ويُطَمْئِن نفسه بما تَكَفَّل الله به له من كفايته أمر المكذبين: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلاً ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلاً ﴿١١﴾ ﴾ [المزمل: ١٠، ١١].

كما جاء في حكمة قصص الأنبياء بالقرآن: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾ [هود: ١٢٠]. (١).

٢- الحكمة الثانية: التحدي والإعجاز.

تَمَادَى مشركو مكة في غيّهم وطغيانهم وعُتُوّهم، وبالغوا في عنادهم للنبيّ – صلى الله عليه وسلم–، وكانوا يسألونه أسئلة تَحَدٍّ وتعجيز يختبرون ويمتحنون بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في نبوته، ويسوقون له من ذلك كل عجيب من باطلهم، كسؤالهم عن موعد قيام الساعة. قال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ﴾[النازعات:٤٢]، واستعجالهم العذاب معربين له – صلى الله عليه وسلم– أنه لا يوجد عذاب ولا بعث ولا جنة ولا نار. قال الله تعالى متحدثًا عما قالوه: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ ﴾[الحج: ٤٧]، فيتنزل القرآن بما يبين وجه الحق لهم، وبما هو أوضح معنى وإجابة عن أسئلتهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾.

---

(١) – ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (ص: ١٠٩).

٣- الحكمة الثالثة: تيسير حفظه وفهمه.

ومن الحِكَم البالغة في نزول القرآن مفرّقا، أن أمة العرب التي نزل القرآن الكريم عليهم هي أُمَّةً أُمّيّة لا تعرف القراءة والكتابة، وإنما سِجِلّها وديوانها هو ذاكرتها وحِفظها، فهي أمّةٌ ليس لها دراية بالكتابة والتدوين حتى تكْتُب وتُدَوّن ويكون لها سِجِلّ ثم بعد ذلك تحفظ وتفهم، لكنها ليست كذلك، وليست كباقي الأمم غيرها، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة: ٢] {ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فما كان لهذه الأُمّة الأُمّيّة أن تحفظ القرآن كله بسهولةٍ ويُسْر لو نزل جملة واحدة، وأن تفهم معانيه وتتدبر آياته، فكان نزوله مفرقا خير عون لها على حفظه في صدورها وفهم آياته.

٤- الحكمة الرابعة: مسايرة الحوادث والتدرج في التشريع.

ليس من السهل قيادة الناس للإسلام لولا أن القرآن عالجهم بحكمةٍ، وأعطاهم من دوائه الناجع جرعات يَسْتَطِبُّون بها من الفساد والرذيلة، وكلما حدثت حادثةٌ نزل الحكم القرآنيّ فيها حتى يُجَلِّي لهم حُكمها ويرشدهم إلى الهدى، ويضع لهم أصول التشريع حسب المقتضيات والأحداث والوقائع أصلًا بعد آخر فكان هذا شفاءً لقلوبهم، وتثبيتا للمؤمنين منهم.

فكان القرآن الكريم المكي مثلًا يتناول أصول العقيدة كالإيمان بالله تعالى وملائكته وكُتُبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء وجنة ونار، كما أقام على هذا الموضوع الكثير من الحُجَج والبراهين وذلك حتى يستأصل من نفوس المشركين العقائد الوثنية ويغرس فيها عقيدة الإسلام.

كما كان في القرآن المكيّ وبعده المدنيّ يأمر بمحاسن الأخلاق التي تزكو بها النفوس ويستقيم من خلال ذلك عوجها، وينهى عن الفحشاء والمنكر ليقتلع جذور الفساد والشر.

ويُبَيّن لجميع أتباعه قواعد الحلال والحرام التي يقوم عليها صرح الدين، وترسو دعائمه في الطعام والشراب والأموال والأعراض والدماء.

ثم تدرج التشريع بالأمة في علاج ما تأصّل في النفوس من أمراض اجتماعية. بعد أن شرع لهم من فرائض الدين وأركان الإسلام ما يجعل قلوبهم عامرة بالإيمان، خالصة لله وحده، كما كان القرآن يتنزل وفق الحوادث التي تمر بالمسلمين في جهادهم الطويل لإعلاء كلمة الله. ولهذا كله أدلته من نصوص القرآن الكريم إذا تتبعنا مكِّيّه ومدنيّه وقواعد تشريعه(١).

٥- الحكمة الخامسة: الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد.

إن القرآن الكريم الذي نزل مُنَجَّمًا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أكثر من عشرين عاما تنزل الآية أو الآيات على فترات من الزمن، وما زال وسيظل إلى ما شاء الله يقرأُه الإنسان ويتلو سُوره فيجده مُحْكَمُ النَّسْج، دَقيقُ السَّبك، مُترابِطُ المَعَانِي، رَصينُ الأُسلوب، مُتَنَاسِقُ الآياتِ والسُّور، كَأَنَّه عِقدٌ فَريدٌ نُظِّمَت حَباتُه بِمَا لَم يُعهد ولم يُسبق له مثيل في كلام البشر. كيف لا وهو كلام رب العالمين جلّ في عُلاه، ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٣].

فمثلًا لو كان هذا القرآن – كما يزعم الكفار – من كلام البشر وقيل في مناسبات متعددة، ووقائع متتالية، وأحداث متعاقبة، لوقع فيه التفكك والانفصام، واستعصى أن يكون بينه التوافق والانسجام الموجود في القرآن. قال تعالى عنه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢].

[1] – ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (ص: ١١٢ وبعدها). مناهل العرفان، الزُّرقاني (٥٨/١). محاضرات في علوم القرآن – غانم قدوري (ص: ٣٣).

فأحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهي في ذروة الفصاحة والبلاغة بعد القرآن الكريم– لا تنتظم حبّاتُها في كتابٍ واحدٍ سَلِسِ العبارة يأخذ بعضه برقاب بعض في وحدة وترابط بمثل ما عليه القرآن الكريم أو ما يدانيه اتساقا وانسجاما. فكيف بكلام سائر البشر وأحاديثهم. قال سبحانه متحدّيًا جميع الإنس والجن: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وهنا نتساءل: كيف اتسق للقرآن هذا التأليف المعجز وكيف استقام له هذا التناسق المدهش؟ مع أنه لم يتنزل جملةً واحدةً، بلْ تَنَزَّلَ آحادًا مُفَرّقةً حسب الوقائع والحوادث في أكثر من عشرين عاما. فنجد أننا نلمح هُنا سِرًّا جديدًا وجديرًا بكلام الله من أسرار الإعجاز، ونشهد سِمَةً فَذّةً من سِمَات الرُّبُوبية، ونقرأُ دَلِيلًا سَاطِعًا على مصدر القرآن وأنه كلام الواحد الديان وصدق الله العظيم إذ يقول عنه ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢].(١).

الأحرف السبعة:

فأما معنى الأحرف التي أرادها النبي –صلى الله عليه وسلم– ههنا فإنه يتوجه إلى وجهين:

أحدهما أن يكون يعني بذكر أن القرآن أنزل على سبعة أحرف أي سبعة أوجه من اللغات لأن الأحرف جمع حرف في الجمع القليل مثل: رأس وأرؤس والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾ الآية فالمراد

[١] – ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (ص: ١١٧). مناهل العرفان، الزُّرقاني (٦٠/١).

بالحرف ههنا الوجه الذي تقع عليه العبادة. وحتى يتبين الأمر فالتفصيل كما يلي: يقول جل ثناؤه ومن الناس من يعبد الله فقط على النعمة التي تُصيبُه، والخيرِ الذي يناله من تثميرٍ للمالِ وعافيةٍ للبَدَنِ وإعطاءٍ للسؤال، ويطمئن إلى ذلك ما دامت له هذه الأمور واستقامت له هذه الأحوال فإن تغيرت حاله وامتحنه وابتلاه الله تعالى بالشدة في عيشه، والضُّرَّ في بَدنه وعياله والفقر في ماله، فإنك تراه مباشرة ترك عبادة ربه وكفر به، فإن هذا الإنسان بهذا يكون قد عَبَدَ الله سبحانه وتعالى على وجه واحد ومذهب واحد فقط. وذلك معنى الحرف في الآية الكريمة في قوله: [يعبد الله على حرف].

أما لو عَبَد هذا الإنسان ربّه على شُكرِه عند النعمة، والصبر عند المصيبة، والرضى بقضاء الله عند السراء والضراء، والشدة والرخاء، والفقر والغنى، والعافية والبلاء، حيث أنه سبحانه وتعالى أَهْلٌ لأن يُعبَد على كل حال، لا أن يُعبَد تعالى على حرف.

- فلهذا سَمّى النّبيّ - صلى الله عليه وسلم - هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفا على معنى أن كل شيء منها وجه على حِدَة غير الوجه الآخر كنحو قوله: {ومن الناس من يعبد الله على حرف} أي على وجه إن تغير عليه تغير عن عبادته وطاعته على ما بَيّناه.

والوجه الثاني: من معنى الأحرف السبعة أن يكون - صلى الله عليه وسلم - سَمّى القراءات أَحرُفًا على طريق السّعَة واليُسر على الأمة كنحو ما جرت عليه عادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره وكان كسَبَبٍ منه وتَعلَّقَ به نوعًا من التعلُّق، وتسميتهم الجملة باسم البعض منها فلذلك سمّى - النبي صلى الله عليه وسلم - القراءة حرفا وإن كان كلاما كثيرا من أجل أن منها حرفا قد غُيّر نظمُه من كَسرٍ أو قَلْبٍ إلى غير ذلك من إمالةٍ أو فتحٍ أو تقليل أو زيادة حرف أو نقصه - كما سيأتي بيانه - على ما جاء في المختلف فيه من القراءة فلما كان ذلك نَسب - صلى الله عليه وسلم - القراءة والكلمة التامة إلى ذلك الحرف المُغَيّر المُخْتِلف اللفظ من القراءة، فسمَّى القراءة إذ كان ذلك

الحرف منها حرفا على عادة العرب في ذلك واعتمادا على استعمالها نحوه ألا ترى أنهم قد يسمون القصيدة قافية؟ والقافية هي الحرف الأخير في البيت منها(١).

هل الأحرف السبعة قرآن؟

بدايةً يجب أن يعرف كل مسلم أنه لا سبيل إلى الاستدلال على هذا إلا بالنقل بما صح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولقد جاء هذا النقل الصحيح من طرق مختلفة كثيرة وروي حديث نزول القرآن على سبعة أحرف عن جمع كبير من الصحابة.

منهم أبو بكرٍ وعمر وعثمان وابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة وأبو جهم وأبو سعيد الخدري وأبو طلحة الأنصاري وأُبَيّ بن كعب وزيد بن أرقم وسَمُرة بن جُندب وسليمان بن صُرَد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن أبي سلمة وعمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وهشام بن حكيم وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان وأم أيوب امرأة أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهم أجمعين. فهؤلاء أحد وعشرون صحابيا وغيرهم ما منهم إلا رواه وحكاه.

وروى الحافظ أبو يعلى في مسنده الكبير أن عثمان رضي الله عنه قال يوما وهو على المنبر: أذكر الله رجلا سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن القرآن أُنزِل على سبعة أحرفٍ كُلّها شافٍ كافٍ لَمَا قام؛ فقاموا حتى لَمْ يُحصُوا فَشَهِدُوا أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "أُنزِلَ القرآن على سبعة أحرفٍ كُلّها شافٍ كافٍ" فقال عثمان رضي الله عنه: وأنا أشهد معهم. (٢). وكأن هذه الجموع التي يؤمن تواطؤها على الكذب هي التي جعلت الإمام أبا عبيد بن سلام يقول بتواتر هذا الحديث.

[١] – ينظر: الأحرف السبعة للقرآن، عثمان بن سعيد المعروف بأبي عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) (ص: ٢٧). تحقيق د. عبد المهيمن طحان، الناشر: مكتبة المنارة – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (١٢٧/١). المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ). تحقيق: طيار آلتي قولاج، الناشر: دار صادر – بيروت، سنة النشر: ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

[٢] – ينظر: المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) (١٤٣/٦). تحقيق: طارق عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

ونظرًا لاختلاف القبائل العربية في اللهجات والأصوات وطرق الأداء، أنزل الله الرحيم بعباده القرءان الكريم على سبعة أحرف بطلب من نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – وذلك للتيسير والتخفيف عليهم، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف».(١).

وأصبح النبي عليه الصلاة والسلام بعد ذلك يتلقى القرءان الكريم عن جبريل عليه السلام على الأحرف السبعة، ويقرئ الصحابة كل واحد منهم بالحرف الذي يرى أنه يناسب لهجته أو لهجة من يليه من العرب، ومن ثم أصبح كل صحابي يقرأ القرءان الكريم بالحرف الذي تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم دون اعتراض من أحدهم على الآخر وذلك بعد أن بيّن لهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – نزول القرءان الكريم على سبعة أحرف.

يدل على ذلك:

– ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقرأني جبريل على حروف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف" زاد مسلم: قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام.

– وروى البخاري ومسلم أيضا واللفظ للبخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأُها على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكِدتُّ أُساوره في الصلاة فانتظرته حتى سلّم ثم لَبَبْتُه بردائه أو بردائي فقلت: مَن أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. قلت له: كذبت فو الله إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها فانطلقت أَقُودُه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "أَرْسِلْه يا عمر" اقرأ يا هشام فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها. قال رسول الله – صلى الله

[1] – ينظر: صحيح البخاري (١٨٤/٦).

عليه وسلم-: "هكذا أُنْزِلت" ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه".

- وروى مسلم بسنده عن أُبَيّ بن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجلٌ يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوق قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه. فأمرهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقرآ فحسن النبي - صلى الله عليه وسلم - شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية. فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما قد غَشِيَني ضرب في صدري ففِضتُ عَرَقا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا فقال لي: "يا أُبَيّ أُرْسِلَ إليَّ أن أَقرأَ القرآن على حرف فرددت إليه أن هَوِّن على أمتي، فرَدَّ إليَّ الثانية أَقرَأَهُ على حرفين فرددت إليه: أن هَوِّن على أمتي، فردّ إليّ الثالثة اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها. فقلت: اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي. وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم". اهـ. (١).

معنى الأحرف السبعة:

تباينت آراء العلماء في المراد من الأحرف السبعة أوصلها السيوطي في الإتقان إلى أربعين قولًا، وذلك لأنه لم يأت في معنى الأحرف السبعة نصٌ صريحٌ ولا أثر من النبي يُبيّن لنا معناها صراحةً.

وما رجحه جَمْعٌ كبيرٌ من العلماء منهم إمام أهل التجويد والقراءات الإمام ابن الجزري هو أن الأحرف السبعة: هي وجوه التغاير السبعة، التي يقع فيها الخلاف وهو اختلاف تنوع

[١] - ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/١٣٩وبعدها). منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، (المتوفى: ٨٣٣هـ) (ص: ٢٣). الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى" (٢/٣٢١)، إبراهيم بن عمر الرّباط البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

وتغاير لا اختلاف تناقض وتضاد، مندرجة ضمن اللغات واللهجات الأصلية الفُصْحى التي تَكَلّمت بها قبائل العرب السابقة قد بينها العلماء فيما يلي:

١. اختلاف الأسماء من إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ۝٣٣﴾ [المعارج: ٣٣]. قوله تعالى: بشهادتهم قائمون قرأه بالجمع يعقوب وحفص، والباقون بالإفراد(١).

٢. اختلاف تصريف الأفعال، من ماض ومضارع وأمر نحو قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [سبأ: ١٩]. قرأ يعقوب (ربُّنا باعَدَ بين أسفارنا) برفع الباء وباعد بالألف وفتح العين والدال، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام (ربَّنا بَعِّدْ) وقرأ الباقون كحفص (رَبَّنا باعِد بين أسفارنا) بالألف والتخفيف (٢).

٣. اختلاف وجوه الإعراب نحو قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلۡنَـٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم: ١-٢] قَرأ نافع وابن عامر الشامي وأبو جعفر برفع اسم الجلالة (اللهُ) مطلقًا ، وقرأ الباقون بخفض لفظ الجلالة (اللهِ)، وقَرأ رويس عن يعقوب في حالة البدء بها (اللهُ) على الابتداء. (٣).

---

١ – ينظر: شرح طيبة النشر لابن الجزري (ص: ٣٢٠). ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٢ – ينظر: شرح طيبة النشر لابن الجزري (ص: ٢٩٩).

٣ – ينظر: شرح طيبة النشر لابن الجزري (ص: ٢٥٨). الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ) (ص: ٣٠٢). الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٤. الاختلاف بالنقص والزيادة نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠] قوله تعالى: (جناتٍ تجري تحتها الأنهار) قرأها ابن كثير (تجري من تحتها) بزيادة (من). وقرأ الباقون كحفص بدون (من). (١).

٥. الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [التوبة: ١١١] قرأ حمزة والكسائي وخلف (فَيُقْتَلُون وَيَقْتُلُون). والباقون كحفص(٢).

٦. الاختلاف بالقلب والإبدال نحو قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٥٩] قرأ نافع وبن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (نُنْشِرُهَا) بالراء بدل الزاي. وقرأ ابن عامر والكوفيون (كَيْفَ نُنْشِزُها) بالزاي المعجمة(٣).

---

[١] – ينظر: الوافي في شرح الشاطبية، القاضي (ص: ٢٨٣).

[٢] – ينظر: شرح طيبة النشر لابن الجزري (ص: ٢١٢). الوافي في شرح الشاطبية (ص: ٢٤٢).

[٣] – ينظر: الوافي في شرح الشاطبية (ص: ٢٢٣).

٧. اختلاف اللغات (اللهجات) كالفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والإظهار والإدغام نحو قوله تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ٩﴾ [طه: ٩] قُرئ لفظ (أتى) ولفظ (موسى) بالفتح والإمالة. (١).

٨. ومنها التوحيد والجمع كقوله {الريح} و {الرياح} و {فما بلغت رسالته} و {رسالته} و {غيابت} و{غيابات} و {سيعلم الكافر} و{سيعلم الكفار}.

٩. ومنه التذكير والتأنيث كقوله {ولا يقبل منها شفعة} قُرئت بالياء والتاء. و {فناداه الملائكة} و {فنادته الملائكة}. و {يغشى طائفة} قُرئت بالياء والتاء وكذا {ولتستبين سبيل المجرمين}. قُرئت كلمة ولتستبين بالياء والتاء (٢).

١٠- ومنها الاستفهام والخبر كقوله: {ءأعجمي، ءأذهبتم، ءأن كان} قُرئت هذه الكلمات بالاستفهام هكذا. وقُرئت كذلك {أعجمي} و {أذهبتم} و {إن كان} بالخبر أيضًا. وكذلك هذه الكلمات {ءإنكم، ءإن لنا، ءإنك، ءإذا متنا، ءإنا لمخرجون} قُرئت بالاستفهام هكذا. كما قُرئت هذه الكلمات بهمزة مكسورة على الخبر هكذا {إنكم} و {إن لنا} وإنك و {أئذا متنا}.

١١ – ومنها التشديد والتخفيف كقوله {بما كانوا يكذبون} بتشديد الذال {يُكَذِّبون} وتخفيفها هكذا {يَكْذبون} وكذلك بتشديد النون في كلمة (لكنَّ) في {لكن الشياطين، ولكن البر}، أو التخفيف في النون. (٣).

١٢- ومنها الخطاب والإخبار كقوله {وما الله بغافل عما تعملون} و {أفلا تعقلون} و {ولكن لا تعلمون} و {لا تظلمون} و {أم تقولون} و {ستغلبون وتحشرون}.

---

[١]- ينظر: رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، شعبان محمد إسماعيل (ص: ٢٧). الناشر: دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة: الثانية.

[٢]- ينظر: الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني (ص: ٣٥).

[٣]- ينظر: الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني (ص: ٣٧).

١٣- ومنها الإخبار عن النفس والإخبار عن غير النفس كقوله: {يتبوأ منها حيث نشاء} بالنون والياء في كلمة {يشاء}. وكلمة {نجعل الرجس} بالنون والياء في (يجعل) وكلمة {ننبت لكم} بالنون والياء.

١٤- ومنها التقديم والتأخير كقوله: وقاتلوا وقُتِلوا} قُرئت {وقُتِلُوا وقاتلوا} وقوله: {فيَقْتُلون ويُقْتَلون} قُرئت {فيُقتَلون ويَقْتُلون}.

١٥- ومنها النفي والنهي: كقوله في كلمة (تسأل). في ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩ ﴾ قُرئت { ولا تَسأل} وأيضًا قُرئت { ولا تُسأل}.

١٦- ومنها الأمر والإخبار كقوله ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ ﴾ قُرئت{واتخِذوا من مقام إبراهيم} بكسر الخاء على الأمر، وقُرئت {اتخَذوا} بفتح الخاء على الإخبار. و {قل سبحان ربي} وكذلك {قُل ربي يعلم} و {قُل رب احكم} و {قُل إنما أدعو} قُرئت بضم القاف (قُل) على الأمر وقُرئت {قال} على الخبر.
١٧- ومنها تغيير الإعراب وحده كقوله {وصيةً لأزواجهم} بالنصب والرفع و {تجارةً حاضرةً} بالنصب والرفع و {وأرجلَكم إلى الكعبين}.
١٨- ومنها التحريك والتسكين كقوله: {خطُوات الشيطان} بضم الطاء وبإسكانها وقوله: {على الموسع قدَره} بفتح الدال وإسكانها و {في الدرَك} بإسكان الراء وبفتحها.

١٩- ومنها اتباع الحركة الإعرابية وعدمها كقوله {فمن اضطر، أن اعبدوا الله، ولقد استهزئ، وقالت اخرج} وشبهه بضم النون والدال والتاء لالتقاء الساكنين إتباعا لضم ما بعدهن وكسرهن للساكنين أيضا من غير إتباع.

٢٠- ومنها الصرف (التنوين) وعدمه في كلمة (ثمود) قُرِئت بالتنوين {وعادا وثمودًا }. وقُرِئت بلا تنوين {وعادا وثمودَ} بدون تنوين (١).

٢١- ومنها اختلاف اللغات نحو كلمة {جِبريل} حيث قُرئت بكسر الجيم وفتحها من غير همز. كما قُرئت {جَبرئِل} بفتح الجيم والراء مع الهمز من غير مد، و{جَبرئيل} بالهمز والمد. وكلمة {ميكال} قرئت بغير همز هكذا، وقُرئت {ميكائيل} بالهمز من غير ياء. وقُرئت هكذا {ميكائيل} بالهمز وبالمد بالياء. وكلمة {إبراهيم} بالياء وقُرئت هكذا {إبراهام} بالألف وكلمة {أرجئه} بالهمز، و {أرجه} بغير همز وكذلك / مرجؤن / و {مرجون} و / ترجئ / و {ترجي} و / يضهؤن / و / يضهون / و / يأجوج ومأجوج / و / ياجوج وماجوج / و / التناؤش / و {التناوش} كل هذه الكلمات قُرئت بالهمز وبغير همز.

٢٢- ومنها التصرف في اللغات نحو الإظهار والإدغام والمد والقصر والفتح والإمالة وبين بين والهمز وتخفيفه بالحذف والبدل وبين بين والإسكان والروم والإشمام عند الوقف على أواخر الكلم والسكوت على الساكن قبل الهمز وما أشبه ذلك. (٢).

أصل اختلاف القراءات:

- وجه هذا الاختلاف في القرآن أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يعرض القرآن على جبريل عليه الصلاة والسلام في كل عام عَرْضَة فلما كان في العام الذي توفى فيه عرضه عليه عرضتين فكان جبريل عليه السلام يأخذ عليه في كل عَرْضَةً بوجهٍ وقراءةٍ من هذه الأوجه والقراءات المختلفة ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم - إن القرآن أنزل عليها وإنّها كُلّها شاف كاف وأباح لأمته القراءة بما شاءت منها مع الإيمان بجميعها والإقرار بكلها إذ كانت كلها من عند الله تعالى منزلة ومنه - صلى الله عليه وسلم - مأخوذة.

- ولم يُلْزِم أُمّتَه حِفْظها كلها ولا القراءة بأجمعها بل الأمة مُخَيّرة في القراءة بأي حرف شاءت منها كتخييرها إذا هي حنثت في يمين وهي موسرة بأن تكفر بأي الكفارات شاءت إما بعتق وإما بإطعام وإما بكسوة، وكذلك المأمور في الفدية بالصيام أو الصدقة أو النسك أيّ

[1] - ينظر: الأحرف السبعة، للداني (ص: ٤١).

[2] - ينظر: الأحرف السبعة، للداني (ص: ٤٣ وبعدها).

ذلك فَعَلَ فقد أدَّى ما عليه وسقط عنه فرض غيره فكذا أمروا بحفظ القرآن وتلاوته، ثم خُيِّروا في قراءته بأيّ الأحرف السبعة شاءوا إذ كان معلوما أنهم لم يُلزَمُوا استيعاب جميعها دون أن يقتصروا منها على حرف واحد بل قيل لهم أيّ ذلك قرأتُم أصَبْتُم. (١).

اختلاف العلماء في الأحرف السبعة:

بدايةً اعلم أخي قارئ القرآن أن الأمّة قد أجمعت على أن القرآن نزل على سبعة أحرف وذلك لتواتر الأحاديث الصحيحة والأخبار الموَثَّقة عن النبي – صلى الله عليه وسلم– وعلى هذا جرى عمل الأمة من لَدُن النبي إلى عصرنا وإلى ما شاء الله.

وعلى الرغم من ورود هذه الآثار الكثيرة إلا أنه – والعلم عند الله ولحكمة يعلمها تعالى– فإن علماء الأمة لم يتفقوا على معنى الأحرف السبعة، وذلك لأن أغلب هذه الأحاديث الواردة في الحرف السبعة أو كلها قطعية الثبوت ولكنها ظنية الدلالة، حيث أنها جاءت على سبيل الإجمال وليس فيها تفصيل لمعنى الأحرف السبعة تفصيلًا يُغني عن الاختلاف فيها.

ولهذا وغيره فقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة اختلافًا كثيرًا حتى أوصلها الإمام القرطبي والسيوطي وغيرهما إلى ما يُقارب الأربعين قولًا:

وأنا هنا أحاول آتي بأقربها إلى الصواب – إن شاء الله – حسب أقوال العلماء واختيارهم وهما مذهبان.

المذهب الأول مذهب إمام أهل الفنّ العلّامة ابن الجزري – رحمه الله– حيث قال:

إن الأحرف السبعة هي:

١- اختلاف في الحركات بلا تغيير في المعاني والصور (صور الكلمات): مثل ﴿يَحۡسَبُهُمۡ﴾ بفتح السين وكسرها (يَحْسِبُهم)، وكلمة ﴿بِٱلۡبُخۡلِ﴾بسكون الخاء وفتحها. وغير ذلك من الكلمات القرآنية.

٢- اختلاف في الحركات مع تغيُّر المعنى فقط دون تغيير الصورة (صورة الكلمة) ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٣٧]، برفع (آدمُ) ونصبها (آدمَ)، ورفع (كلماتٌ) ونصبها (كلماتٍ).

---

[١] – ينظر: الأحرف السبعة، للداني (ص: ٤٦).

٣- اختلاف في الحروف مع تغيُّر المعنى فقط لا في صورة الكلمة ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٍ مَّآ أَسۡلَفَتۡ﴾ كلمة (تَبۡلُوا) كُتبت بتاءين هكذا (تتلوا).

٤- اختلاف في الحروف مع تغيُّر صورة الكلمة فقط لا في المعنى ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]. في كلمة (الصراط) بالصاد هكذا وبالسين (سراط).

٥- اختلاف في الحروف مع تغيُّر صورة الكلمة والمعنى ﴿كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةَ ۝٢١﴾ [غافر: ٢١]. قُرئت وكُتبت هكذا (أشدّ منكم) و(أَشَدَّ مِنۡهُمۡ)

٦- اختلاف في التقديم والتأخير مثل: ﴿وقاتلوا وقُتِلوا} قُرئت {وقُتِلُوا وقاتَلوا} وقوله: {فيَقْتُلون ويُقْتَلون} قُرئت {فيُقتَلون ويَقْتُلون}.﴾.

٧- اختلاف في الزّيادة والنُّقصان ﴿وَوَصَّى بها﴾ قُرئت وكُتبت ﴿وَأَوْصَّى بها﴾.

المذهب الثاني وهو مذهب العلّامة أبو الفضل الرازي – رحمه الله –

١- الاختلاف في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث.

- قال تعالى: ﴿فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤)، قُرِئ لفظ (مِسۡكِينٍ) بالإفراد هكذا، وقُرِئ بالجمع هكذا (مساكين). ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٠]، قُرئت (أَخَوَيۡكُمۡ) هكذا على التثنية، وقُرئت على الجمع هكذا (إخوتكم).

- قال تعالى: ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، قُرئت (يُقبل) بياء على التذكير، وقُرئت بتاء التأنيث هكذا (تُقبل).

٢- اختلاف تصريف الأفعال ماضٍ ومضارعٍ وأمْر مثل قوله تعالى:

- ﴿ تَطَوَّعَ خَيۡرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝١٥٨﴾ [البقرة: ١٥٨]، قُرئت كلمة ﴿ تَطَوَّعَ ﴾ على الفعل الماضي كما قُرئت على الفعل المضارع المجزوم هكذا (يَطَّوَّعْ).

- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنبياء:١١٢]، قُرئت كلمة ﴿قَالَ﴾ هكذا على أنه فعلٌ ماض، وقُرئت (قُلْ رَبِّ) هكذا على أنها فعل أمر.

٣- اختلاف وجوه الأعراب نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ [البقرة: ١١٩]، قُرئت ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ﴾ بضم التاء ورفع اللام على أنّ (لا) نافية والفعل المضارع (تُسئلُ) بعدها مرفوع بالضمة، كما قرُئت (ولا تَسْئَلْ) بفتح التاء وجزم اللام على أن (لا) ناهية وبعدها المضارع مجزوم السكون.

٤- الاختلاف بالزيادة والنقص، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤﴾ [الحديد:٢٤]، قُرئ بإثبات كلمة (هو) وحذفها هكذا (فإن الله الغني الحميد).

٥- الاختلاف بإبدال حرف مكان آخر، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥﴾، [الشمس: ١٥]، قُرئت هكذا(ولا يخاف) بالواو، كما قُرئت أيضًا بالفاء بدل الواو هكذا (فلا يخاف) .

٦- الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٌ﴾ [المطففين: ٢٦]، حيث قُرئت ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ بكسر الخاء وبعدها تاء مفتوحة وبعد التاء ألف، كما قُرئت أيضًا هكذا (خَاتَمُهُ) بتقديم الألِف على التاء المفتوحة٬

٧- اختلاف اللهجات كالإظهار والإدغام، والفتح والإمالة، والتفخيم والترقيق، والتسهيل والتحقيق وهكذا، كما يدخل في هذا النوع الكلمات التي اختلفت فيها لغات القبائل في نطقها مثل كلمات: ﴿خُطُوَٰتِ﴾ بضم الطاء وسكونها (خُطْوات)، و﴿بُيُوتًا﴾ بضم الباء وكسرها (بِيُوتًا)﴿زَبُورًا﴾ بفتح الزاي وضمها (زُبُورًا) وهكذا.

- والخلاصة:

يقول الإمام أبو عمرو الدّاني(١). والإمام عَلَمُ الدين السخاوي(٢).

– وأما على كم معنى يشتمل اختلاف هذه السبعة أحرف فإنه يشتمل على ثلاثة معان يحيط بها كلها:

الأول: اختلاف اللفظ والمعنى الواحد. مثل قوله / السراط / بالسين و {الصراط} بالصاد وبالزاي و {عليهم} و {إليهم} و {لديهم} بضم الهاء مع إسكان الميم وبكسر الهاء مع ضم الميم وإسكانها. {أكلها} و {في الأكل} بإسكان الكاف وبضمها و {إلى ميسرة} بضم السين وبفتحها و {يعرشون} بكسر الراء وبضمها وكذلك ما أشبهه ونحو ذلك البيان والإدغام والمد والقصر والفتح والإمالة وتحقيق الهمز وتخفيفه وشبهه مما يطلق عليه أنه لغات فقط.

والثاني: اختلاف اللفظ والمعنى جميعا مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه، نحو قوله تعالى: {ملك يوم الدين} بألف و {ملك} بغير ألف لأن المراد

[1]– الحافظُ المقرئ أبو عمرو عثمانُ بنُ سعيدٍ الأمويّ – مولاهم – الداني، القرطبيُّ. عرف بالداني؛ لسكناه دانية. ولد سنة ٣٧١. رحل إلى المشرق، ومكث بالقيروان، ودخل مصر، وحج ورجع إلى الأندلس، وقرأ بالروايات بقرطبة، وسمع من البزّار والقابسي، وحدث عنه جمع كثير. لم يكن في عصره مَنْ يدانيه في حفظه وتحقيقه. وكان أحد الأئمة في علم القراءات والحديث، وكان حسن الخط والضبط والذكاء، وكان دَيِّنًا فاضلاً ورعًا سُنيًا، وكان مالكيَّ المذهب، له ١٢٠ مصنفًا. وكانت وفاته سنة ٤٤٤ ينظر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، محمد صديق خان الحسيني القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) (ص: ٣١٠)، الناشر: وزارة الأوقاف، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

[2]– هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المعروف بِعَلَمِ الدين السخاوي المصري، شيخ القراء بدمشق ولد سنة ٥٥٨هـ وسمع من السلفي وأبي الطاهر بن عوف والكندي وحنبل وغيرهم، روى عنه الشيخ زين الدين الفارقي وغيره، ولازم الشاطبي وأخذ عنه القراءات وغيرها وكان فقيها يفتي الناس. وإماما في النحو والقراءات والتفسير قصده الخلق من البلاد لأخذ القراءات عنه، وله المصنفات الكثيرة والشعر الكثير وكان من أذكياء بني آدم. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب السُّبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) (٨/٢٩٧)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تقي الدين الفاسيّ (المتوفى: ٨٣٢هـ) (٢/٢١٣). تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، (٢٢/٤٤). تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

بهاتين القراءتين جميعا هو الله سبحانه وتعالى وذلك أنه تعالى مالك يوم الدين وملكه فقد اجتمع له الوصفان جميعا فأخبر تعالى بذلك في القراءتين.
{بما كانوا يَكْذِبون} بتخفيف الذال وبتشديدها {يُكَذِبون} لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هم المنافقون وذلك أنهم كانوا يَكْذِبُون في إخبارهم وأقوالهم، ويُكَذِّبُون النبي – صلى الله عليه وسلم– فيما جاء به من عند الله، فالأمران جميعا مجتمعان لهم فأخبر الله تعالى بذلك عنهم وأعلمنا أنه معذبهم بهما وكذا قوله تعالى: {كيف ننشرها} بالراء وبالزاي لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هي العظام وذلك أن الله تعالى أنشرها أي أحياها وأنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى الْتَأَمَتْ، فأخبر سبحانه أنه جمع لها هذين الأمرين من إحيائها بعد الممات ورفع بعضها إلى بعض لتلتئم فضَمّن الله تعالى المعنيين في القراءتين تنبيها على عظيم قدرته. وكذا قوله تعالى {واتخِذوا من مقام إبراهيم مصلى} بكسر الخاء على الأمر وبفتحها على الخبر، لأن المراد بالقراءتين جميعا هم المسلمون وذلك أن الله تعالى أمرهم باتخاذهم مقام إبراهيم مصلى فلما امتثلوا ذلك وفعلوه أخبر به عنهم فجاءت القراءة بالأمرين جميعا للدلالة على اجتماعهما لهم فهما صحيحان غير متضادين ولا متنافيين.
وكذا قوله تعالى. {وما هو على الغيب بظنين} بالظاء و {بضنين} بالضاد، لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هو النبي – صلى الله عليه وسلم – وذلك أنه كان غير ظنين على الغيب أي غير متهم فيما أخبر به عن ربه سبحانه، وغير ضنين به أي غير بخيل بتعليم ما علّمه الله وأنزله إليه فانتفى عنه الأمران جميعا فأخبر الله عنه بهما في القراءتين.
والثالث: اختلاف اللفظ والمعنى مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه. مثل قراءة من قرأ {وظنوا أنهم قد كُذِّبُوا} بتشديد الزاي في كلمة (كُذّبوا) لأن المعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كَذّبوهم، وقراءة من قرأ {قد كُذِبُوا} بتخفيف الزاي في (كُذِبوا) لأن المعنى وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من أنهم إن لم يؤمنوا بهم نزل العذاب بهم فالظن في القراءة الأولى يقين والضمير الأول للرسل والثاني للمرسل إليهم والظن في القراءة الثانية شك والضمير الأول للمرسل إليهم والثاني للرسل.
٥٦ – وكذا قراءة من قرأ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]. بضم التاء في كلمة (علمتُ) وذلك أنه أسند هذا

العلم إلى موسى عليه السلام حديثا منه لفرعون حيث قال ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧﴾، [الشعراء: ٢٧]. فقال له موسى عليه السلام عند ذلك ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فأخبر عليه السلام عن نفسه بالعلم بذلك أي أنه ليس بمجنون، وقراءة من قرأ {لقد علمتَ} بفتح التاء وذلك أنه أسند هذا العلم إلى فرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التقريع والتوبيخ له على شدة معاندته للحق وجحوده له بعد علمه ولذلك أخبر تبارك وتعالى عنه وعن قومه فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا﴾ [النمل: ١٤]. (١).

الحكمة من الأحرف السبعة:

قال العلماء إن من حكمة نزول القرءان الكريم على سبعة أحرف رفع الحرج عن الأمّة، وتيسير القراءة والحفظ على قوم أميين. وهذا واضح في قول النبي صلّى الله عليه وسلم: «يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز، والشيخ الكبير، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط»، فقد كانت العرب قبائل متعددة، وكان بينها اختلاف وتباين في اللهجات واللغات وطريقة الأداء، فلو ألزمت الأمة بكيفية واحدة من كيفيات القراءة لشق ذلك على مجموع الأمة، وإن كان يخدم بعضها(٢).

[1]– ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١٧٦/١). الأحرف السبعة للقرآن، الداني (ص: ٥٠). جمال القراء وكمال الإقراء (ص: ٣٢٧). علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ). تحقيق: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

[2]– ينظر: مقدمات في علم القراءات، محمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور (ص: ٢٩)، الناشر: دار عمار – عمان (الأردن)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م. غيث النفع في القراءات السبع، الصفاقسي (ص: ١٥)، البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١: ٢٢٧)، مباحث في علوم القرآن، ومناع القطان (ص: ١٦٩).

وبيان إعجاز القرءان في معانيه وأحكامه للفطرة اللغوية عند العرب فتقلّب الصور اللفظية في بعض الأحرف والكلمات فيه زيادة في المعنى، وفيه دلالة على الأحكام التي يستنبطها الفقهاء وذلك على أنواع:

النوع الأول: أن يكون مرجحًا لحكم اختلف فيه، كقراءة «وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» في كفارة اليمين، بزيادة: «مؤمنة»، وهي قراءة شاذة، في قوله: ﴿لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ وَلكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الْأَيْمانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ [المائدة: ٨٩]، فكان فيها ترجيح لاشتراط الإيمان، كما ذهب إليه الشافعي وغيره، ولم يشترطه أبو حنيفة.

النوع الثاني: أن يكون لأجل اختلاف حكمين شرعيين، كقراءة: «وَأَرْجُلَكُمْ» في قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ [المائدة: ٦]، ففيها قراءتان صحيحتان:

القراءة الأولى: «وَأَرْجُلَكُمْ» بنصب اللام، وهي قراءة نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب، وذلك عطفا على: «أَيْدِيَكُمْ»، فيكون حكمها الغسل كالوجه.

القراءة الثانية: «وأرجلكم» بخفض اللام، وهي قراءة الباقين، وذلك عطفا على: «بِرُؤُسِكُمْ» لفظا ومعنى، أي المسح على الخفين.

وعليه: فإن قراءة الخفض تقتضي مشروعية المسح على الخفين، وقراءة الفتح تقتضي فرض الغسل للأرجل في الوضوء، وقد فرق النبي صلّى الله عليه وسلم بين الغسل وجعله للرجلين في الوضوء، وجعل المسح على الخفين.

النوع الثالث: أن يكون لإيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه، كقراءة «فامضوا إلى ذكر الله» فإن قراءة «فَاسْعَوْا» يقتضي ظاهرها المشي السريع، فجاءت القراءة الأخرى وهي شاذة، لكي توضح أن المقصود هو الذهاب إلى المسجد بأي صورة من الصور سواء أكان ماشيا أم راكبا أم مهرولاً..

- إظهار فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم، وإعجاز القرءان في معانيه وأحكامه. تُعَدّ هذه الأحرف السبعة من خصائص هذه الأمة، ومن المناقب التي امتازت بها عن غيرها من الأمم لأن كُتُب الأمم السابقة كانت تنزل على وجه واحد، وإنه من أعظم الخصائص لهذه الأمة أن الله عز وجل تكفل بحفظ كتابها، وهو على خلاف كتب الأمم السابقة، فقد وكل الله تعالى حفظها لهم فحرفوها وضيعوها.

ويترتب عليه: أن الله تعالى تكفل بحفظ سائر الأحرف القرآنية التي أنزلها؛ لأن كل حرف منها بمنزلة الآية فضياع شيء منها واندثاره يعني أن بعض أبعاض القرآن ضاعت، أو اندثرت وهذا يتنافى مع مقتضى الحفظ الرباني للقرآن.

- أن الأحرف السبعة حفظت لغة العرب من الضياع والاندثار، فقد تضمنت خلاصة ما في لغات القبائل العربية من فصيح وأفصح.

- أن في الأحرف السبعة برهانا واضحا ودلالة قاطعة على صدق القرآن، فمع كثرة وجوه الاختلاف والتنوع لم يتطرق إليه تضاد، ولا تناقض، ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، وبعضه يشهد لبعض على نمط واحد، وأسلوب واحد، وهذا دليل قاطع على أنه من عند الله عز وجل نزل على قلب النبي صلّى الله عليه وسلم(١).

- أن نزول القرآن على سبعة أحرف فيه بيان لفضل الأمة المحمدية بتلقيها كتاب ربها هذا التلقي، والاعتناء به هذه العناية، وفيه إعظام لأجور الأمة المحمدية، ذلك أنهم يفرغون جهدهم في حفظ القرآن الكريم، وتتبع معانيه، واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ من ألفاظ الأحرف السبعة.

قال ابن الجزري: فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفا لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق حيث أتاه جبريل فقال له: إن الله يأمرك أن تُقْرِأَ أمتك القرآن على حرف

[١]- ينظر: حديث الأحرف السبعة، وصلته بالقراءات القرآنية، د. عبد العزيز القارئ (ص: ١٠٢).

فقال: أسأل الله معافاته ومعونته وإن أمتي لا تطيق ذلك ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف(١).

تنبيهات:

– الأحرف السبعة هي كلام الله تعالى تنزيل من رب العزة عز وجل، وليس فيه لرسولنا – صلى الله عليه وسلم – إلا البلاغ المبين، وقد أدى عليه الصلاة والسلام الأمانة، وبلّغ الرسالة، وكلها قرآن يُتَعَبَّدُ الله به.

– نزل جبريل عليه السلام بالقرآن بالأحرف السبعة على الرسول صلى الله عليه وسلم حرفًا حرفًا، وقد قرأ عليه – الصلاة والسلام – بها جميعًا وأَقْرَأَ الناس عليها فقرأوا بها.

– ليس المراد من الأحرف السبعة أن كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه، بل إن وجوه الاختلاف لا تتجاوز سبعة أوجه.

– لا نزاع بين علماء الأمة المعتبرين أن الأحرف السبعة ليست هي قراءات القراء السبعة أو العشرة المتواترة المشهورة.

فائدة:

– اختلف العلماء: هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟ فذهب جماعات من الفقهاء والقُرّاء والمتكلمين إلى أنّ المصاحف العثمانية مشتملة على الحرف السبعة، وبنوا عليه أنه لا يجوز على الأُمَّة الإسلامية أن تُهمل نقل شيء منها، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي جُمِعت في عهد الخليفة الأول أبو بكر الصّدّيق وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك على ما يَحْتمِل رسْمُها من الأحرف السبعة. والتي كانت جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي – صلى الله عليه وسلم – في العرضة الأخيرة على جبريل – عليه السلام – متضمنة لها ولم تترك منها حرفًا واحدًا.

---

[1]– ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (٢٢/١). المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ). (ص: ١٧٥). الناشر: مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

قال ابن الجزري: وهذا هو الذي يظهر صوابه أنَّ القراءة على الأحرفِ السبعة لم تكُن واجبةً على الأُمّة وإنّما كان جائزًا لهم ومُرَخّصًا لهم فيه، فلمّا رَأى الصحابة أنّ الأُمّة تَفتَرق وتَخْتَلف إذا لَم يجتمعوا على حرفٍ واحدٍ اجتمعوا على ذلك اجتماعا شائعا وهم معصومون من الضلالة، ولم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل حرام.

ولا شك أن القرآن نُسخ منه في العرضة الأخيرة، فاتفق الصحابة على أن كتبوا ما تحققوا أنه قرآن مستقر في العرضة الأخيرة وتركوا ما سوى ذلك.

أخرج ابن أشتة في المصاحف وابن أبي شيبة في فضائله من طريق ابن سيرين عن عَبِيدة السَّلمانِي قال: القراءة التي عُرِضت على النبي – صلى الله عليه وسلم – في العام الذي قُبِض فيه هي القراءة التي يقرأُها الناس اليوم.

ولأنه أُنزِل على العرب جميعًا وللناس كافة وأبيح للعرب أن يقرئوه على لغاتهم المختلفة فاختلفت القراءات فيه لذلك، فلما كُتِبت المصاحف هُجِرت تلك القراءات كلها التي كانت في المصاحف الخاصة ببعض الصحابة إلا ما كان منها موافقا لخط المصحف (١).

مراحل جمع القرآن:

المرحلة الأولى: جمع القرآن في عهد الرسالة:

وجَمْعُ القرآن في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – حصل على صورتين:

الصورة الأولى: الحفظ في الصدور.

والقدوة للناس في هذا هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، حيث إنه لم يكن يكتب، ولا يقرأ من كتاب، إنما كان يقرأ القرآن حفظا.

[1]– مناهل العرفان في علوم القرآن (١/١٤٥). ينظر: إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ). (ص: ٧١٣). الناشر: دار الكتب العلمية. مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص: ١١٥).

فعن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، في قوله تعالى: لا تحرك به لسانك لتعجل به ١٦ [القيامة: ١٦]، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، كان يحرك شفتيه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٦-١٧]، قال: جَمْعُه في صدرك ثم تقرأه، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [القيامة: ١٨]، قال: فاستمع وأنصت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٩] ثم إن علينا أن نجمعه في صدرك وتقرأه، قال: فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي – صلى الله عليه وسلم – كما أقرأه جبريل عليه السلام.

وكان جبريل يأتيه في كل عام في رمضان يدارسه القرآن، فكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يعرض عليه حفظه.

فعن فاطمة بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ورضي الله عنها، قالت: أَسَرّ إليَّ النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أُرَاهُ إلا حَضَرَ أَجَلي" (١).

كما أن أمته– صلى الله عليه وسلم – أمّةٌ أُمّيّةٌ كذلك، وإنما كان الناس يأخذون عنه القرآن فيجمعونه في صدورهم، وكانوا رضي الله عنهم أُمّةُ عَملٍ، يأخذون القرآن للعمل به، ولم يكن يَغُرُّهم كثرة الحفظ دون العمل، وهذا أحد أهم الأسباب في قلة الحُفَّاظ الذين جمعوا القرآن كله في حياة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وإن كان الواحد منهم لا يخلو من حفظ بعض القرآن(٢).

---

[١]– رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

[٢]– ينظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص: ٩٠).

قال عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه: (كان الرجل مِنّا إذا تعلم عشر آيات؛ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهِنّ، والعمل بهنّ).

- والذين عُرفوا بجمع القرآن كله في صدورهم في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، ممن صحت بتسميتهم الأخبار هؤلاء هم: (أُبَيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو الدرداء، وأبو زيد الأنصاري، وعبد الله بن عمرو بن العاص).

عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: "خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد(١)، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة"(٢).

الصورة الثانية: الحفظ في السطور.

مع أنّ العرب كانوا أُمّيّين لا يقرؤون ولا يكتبون إلا قليلًا منهم كانوا يعرفون الكتابة والقراءة، إلا أنّ النبيّ - صلى الله عليه وسلم - اتَّخَذ من هؤلاء الكُتّاب مَن يكتب له ما ينزل من القرآن الكريم إذ الإنسان مهما يكن قويّ العقل متوقد الذهن إلا أنه مُعَرّض للنسيان والاختلاط، لذا لم يكن الاعتماد على الصدور وحده كافيا لحفظ القرآن الذي أراد الله تعالى حِفظه للأمّة وأن يبقى دستورا للبشر إلى قيام الساعة، فإن حفظ الصدور لغير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعتريه ما كتبه الله على بني آدم من النسيان والوهم، وبناء الثقة في الدين عليه مع إمكانية نسيانه مجردًا ومعتمدا على الحفظ فقط غير ممكن، لذلك كان التدوين والكتابة ضرورة لا بد منها لحفظه وإبقاء قدسيته، والقرآن نفسه أشعر بضرورة الكتابة في مواضع كثيرة، فإن الله تعالى سماه (الكتاب)، وهذا يقتضي أن يكون مكتوبا.

ولذا كان النبي- صلى الله عليه وسلم - قد اتخذ جماعة مأمونة من أصحابه ممن كان يَعرف القراءة والكتابة يكتبون ما كان ينزل عليه من القرآن، كما كان الإذن فيه عاما لكل

---

[١]- رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

[٢]- ابن أُمّ عَبْد هو عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

من شاء أن يكتب، وقد قال – صلى الله عليه وسلم – لهم: "لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن، فمن كتب عني شيئا غير القرآن فلْيَمْحُه"(١).

وكان القرآن على عهد النبي "صلى الله عليه وسلم"، متفرقا في صدور الرجال حِفظًا وفي الرِّقاع والعسيب وغيرها كتابةً؛ لأنه نزل في نَيِّفٍ وعشرين سنة، شيئا بعد شيء، وقد تواترت الرواية أنه – صلى الله عليه وسلم – مات والقرآن غير مجموع في مصحف(٢).

وعلى ذلك فصِفَةُ الجَمْع في عهد النبيّ، أنه– صلى الله عليه وسلم – كان يدعُ واحدًا من كتاب الوحي فيأمُرُه بكتابة ما نزل عليه من الوحي، وكان – صلى الله عليه وسلم – يُرشدهم إلى مواضع السُّوَر والآيات من السور، ولم ينتقل – صلى الله عليه وسلم – إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله كان مكتوبًا، مرتب الآيات في سورها، غير أنه لم يكن مرتب السور، ولا مجموعًا في مصحف واحد، ولا موجودًا في مكان واحد، بل كان مفرقًا لدى الصحابة، وذلك لما كان يُتوقع في حياته – صلى الله عليه وسلم – من نزول ناسخ لآية حكمًا أو تلاوة، أو تلاوة وحُكمًا كما حدث في حياته – صلى الله عليه وسلم–.

والخلاصة في جمع العهد النبوي:

إنّ الصحابة – رضي الله عنهم – كانوا يكتبونه فيما تهيأ لهم الكتابة فيه واستطاعوا الحصول عليه سواء من الجلود وجريد النخل وغير ذلك مما كان متاحًا وموجودًا آنذاك، ولم يكن جمعهم له مكتوبا على صفة الكتاب الواحد تجمع أوراقه إلى بعضها لتعذر ذلك يومئذ، حيث كان النبي – صلى الله عليه وسلم – حيًّا ، والقرآن ما زال مستمر النزول، وربما نزلت الآية أو السورة فقال لهم النبي – صلى الله عليه وسلم – ضعوها في موضع كذا وكذا، كما كان نَسْخُ التلاوة واردًا في حياته – صلى الله عليه وسلم –، فلو كان مؤلفا

---

[١]– رواه الإمام أحمد في المسند والنَّسائي وغيرهما.

[٢]– ينظر: الإبانة عن معاني القراءات، أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) (ص: ٥٧). تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الناشر: دار نهضة مصر للطبع والنشر. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزُّرقاني (٢٤٦/١). جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، د. عبد القيوم عبد الغفور السندي (ص: ١٣)، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

على صفة الكتاب التام لشقَّ وصَعُب معه إضافة الجديد وإزالة المنسوخ، خاصة وأنهم ما كان لهم من آلة الكتابة يومئذ كما تهيأ لمن بعدهم من تطوّر أدواتها.

فائدة:

- من المتفق عليه والمعروف شرعًا وعُرفًا وعقلًا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أول الحافظين، وإمام المقرئين، وقدوة المسلمين، تلقى هذا القرآن حرفاً حرفاً عن جبريل - عليه السلام- عن الله تقدست أسماؤه، "وكان - صلى الله عليه وسلم -، يَعرِض على جبريل القرآن حين يلقاه في كل ليلة من رمضان حتى ينسلخ، ولا زال ذلك دَأبُه حتى عارضه في العام الأخير من عمره مرتين، يقول - عليه الصلاة والسلام- : "إن جبريل يعارضني (١). بالقرآن كل سنة وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي".

- بعض الصحابة الذين تلقّ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القرآن الكريم كاملًا عَرْضًا، فكان ممن عرضوا عليه:

١- عثمان بن عفان.

٢- علي بن أبي طالب.

٣- أبي بن كعب.

٤- عبد الله بن مسعود.

٥- زيد بن ثابت بن الضحاك(٢).

---

[١]- قال ابن حجر: "يَعرِض - بكسر الراء - من العَرْض وهو بفتح العين وسكون الراء، أي يقرأ، والمراد: يستعرضه ما أقرأه إياه. والمعارضة مفاعلة من الجانبين، كأن كُلًّا منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع.

[٢]- هو زيد ابن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، ولد في المدينة، ونشأ بمكة، وقتل أبوه وهو ابن ست سنين، تعلم اللغة السريانية في سبعة عشر يوماً، وحفظ القرآن الكريم كله عن ظهر قلب في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم- وكان من كُتّاب الوحي مشهوراً بالصدق والأمانة، وتفقه في الدين حتى أصبح رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، وكان يُعدّ من الراسخين في العلم، توفي سنة ٤٥هـ. اختاره أبو بكر رضي الله عنه لهذه المهمة العظيمة. يقول العلامة الزرقاني "اجتمع فيه من المواهب ذات الأثر في جمع القرآن، ما لم يجتمع في غيره من الرجال، إذ كان من حفاظ القرآن، ومن كتاب الوحي، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن في ختام حياته صلى الله عليه وسلم وكان فوق ذلك معروفاً بخصوبة عقله، وشدة ورعه، وعظم أمانته، واستقامة دينه. ويؤيد ورعه ودينه وأمانته قوله (فو الله لو كلفوني نقل جبل، ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن). معرفة القراء الكبار، الذهبي (ص: ١٧). سير النبلاء، الذهبي (٢/٤٢٦).

٦- أبو موسى الأشعري.

٧- أبو الدرداء. (١).

قال الذهبي(٢). بعد أن ذكر هؤلاء الصحابة السبعة قال: "فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم -، وأخذ عنهم بعض الصحابة والتابعين عَرْضا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة. وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة كمعاذ بن جبل وأبي زيد وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر وعتبة بن عامر، ولكن لم تتصل بنا قراءتهم فلهذا اقتصرت على هؤلاء السبعة -رضي الله عنهم".

الجمْعُ الثاني (الجَمْعُ البَكْرِيّ):

سبب الجمع في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -.

- بعد تولي أبي بكر رضي الله عنه إمارة المسلمين واجهته أحداث جسيمة، مثل ما كان من أهل الردة، وما دار بعد ذلك من حروب طاحنة ومعارك عنيفة، خصوصًا ما كان في موقعة اليمامة، حيث استشهد فيها عدد كبير من الصحابة، منهم أكثر من سبعين من قراء الصحابة، فاشتد ذلك على الصحابة، ولا سِيّما على عمر رضي الله عنه فاقترح على أبي بكر رضي الله عنه أن يجمع القرآن، خشية ضياعه بموت الحفاظ وقتل القُرّاء، فتردد أبو بكر أول الأمر ثم شرح الله صدره لما شرح له صدر عُمَر، فكان هو أول من جمع القرآن في مصحف واحد، وكان أحد الذين حفظوا القرآن كله في عهد النبيّ لشدة ملازمته له.

- ويتضح ذلك من الحديث الصحيح الذي روي عن زيد بن ثابت(٣) رضي الله عنه وكان من كتاب الوحي، وقال فيه: " أَرْسَلَ إِلِيَّ أَبُوبكرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامةِ وعندهُ عُمرُ فقالَ

---

[١]- ينظر: كيف تحفظ القرآن، د. عبد الرب بن نواب الدين آل نواب (ص:٢٦)، الناشر: دار طويق، ط: الرابعة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م. جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، د. عبد القيوم السندي (ص:١٣).

[٢]- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، التُركماني الأصل، الدمشقي، محدِّث العصر وخاتمة الحفَّاظ، ومؤرخ الإسلام. ولد بدمشق سنة ٦٧٣هـ. وطلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، فسمع الكثير، قال السخاوي عنه: إن المحدثين عيال في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزيّ، والذهبي، والعراقي، وابن حجر. كُفّ بصره سنة ٧٤١ هـ. وتصانيفه تقارب المائة، منها: تاريخ الإسلام؛ سير النبلاء؛ طبقات القراء؛ وغيرها. وتوفي بدمشق سنة ٧٤٨هـ.

[٣]- ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) (ص: ٢٠)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م. جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة (ص: ٣٥).

أبو بكرٍ إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحرَّ (اشتدّ وزاد) يوم اليمامةِ بالنّاس وإنِّي أخشَى أن يستَحرَّ القَتْلُ بالقرّاءِ في المواطن فيذْهبَ كثيرٌ من القرآن إلا أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمعَ القرآن. قال أبو بكر قلتُ لعمرَ كيفَ أفعلُ شيئًا لم يفعله رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فقال عمرُ: هو واللهِ خيرٌ فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالسٌ لا يتكلم، فقال أبو بكر إنك رجلٌ شابٌ عاقلٌ ولا نتهمك كنتَ تكتبُ الوحي لرسول الله –صلى الله عليه وسلم – فتَتَبّع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفني نقل جبلٍ من الجبال ما كانَ أثقلَ عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلتُ كيف تفعلان شيئًا لم يفعله النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال أبو بكر هو والله خيرٌ فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرحَ الله له صدر أبي بكرٍ وعمر فقمتُ فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسُبِ وصدور الرجال حتى وجدتُ من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحدٍ غيره ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٨،١٢٩]. إلى آخرهما وكانت الصُّحُف التي جُمِع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفّاه الله ثم عند عمر حتى توفّاه الله ثم عند حفصة بنت عمر"(١). وعلى هذا، فقد بدأ جَمْع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه سنة سنة ١٢هـ. وعن عليّ رضي الله عنه قال: "رحم الله أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين"(٢).

[1]– ينظر: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين – عبد القيوم السندي (ص: ١٦).

[2]– ينظر: فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص: ٢٨٢). المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة (٤٩/١). جمال القُرّاء وكمال الإقراء، السخاوي (ص: ١٦٠)، تحقيق: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م. المصاحف لابن أبي داود (ص: ٤٨). المصاحف، أبو بكر بن أبي داود السجستاني (المتوفى: ٣١٦هـ) (ص: ٥٥)، تحقيق: محمد بن عبده، الناشر: الفاروق

الجَمْع البكري للقرآن وكيفيته:

– في البداية استثقل سيدنا زيد بن ثابت – رضي الله عنه – هذه المُهِمّة الصعبة الكبيرة، إلا أنه حينما شرح الله له صدره باشر هذه المهمّة، وبدأ بجمع القرآن بوضع خطة أساسية للتنفيذ، اعتمادًا على مصدرين هامين، وهما:

(١) ما كُتِب أمام الرسول صلى الله عليه وسلم وبإملاء منه، وكان زيد نفسه من كتاب الوحي.

(٢) ما كان محفوظًا لدى الصحابة، ولا ننسى أن زيدًا كان هو من حفاظه في حياته صلى الله عليه وسلم. وكان لا يقبل شيئًا من المكتوب، حتى يتيقن أنه:

أ– مما كُتِب بين يَدَيِ الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وذلك بشهادة شاهدين عدلين.

ب– ويكون مما ثبت في العَرْضَة الأخيرة، ولم تُنْسَخ تلاوته.

يدل على ذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قدم عمر، فقال: من كان تلقى من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئًا من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصُحُف والألواح والعُسُب، وكان لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد شاهدان أنّ هذا المكتوب قرآن ومحفوظ في الصدر.

وقد قال أبو بكر لعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت – رضي الله عنهما –: "اقْعُدَا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه".

قال الحافظ ابن حجر (المراد بالشاهدين: الحفظ والكتابة).

وقد ذهب العلامة السخاوي إلى أن المراد بالشاهدين: رجلان عدلان يشهدان على أنه كُتِب بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، أو أنه من الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن.

وقال أبو شامة: وكان غرضهم ألا يُكتَب إلّا مِن عَينِ مَا كُتب بين يَدِيِ النبي – صلى الله عليه وسلم –، لا من مجرد الحفظ، ولم يعتمد زيد – رضي الله عنه – على الحفظ وحده، ولذلك قال في الحديث الذي أورده البخاري، "... أنه لم يجد آخر سورة براءة إلا مع أبي خزيمة. أي: لم يجدها مكتوبة إلا مع أبي خزيمة الأنصاري، مع أن زيدًا كان يحفظها، وكان

الحديثة – مصر – القاهرة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م. المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) (ص: ١٤)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

كثير من الصحابة يحفظونها كذلك، ولكنه أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة، زيادة في التوثق، ومبالغة في الاحتياط.

وعلى هذا الدستور الرشيد تم جمع القرآن في مصحف واحد بإشراف أبي بكر وعمر وأكابر الصحابة وأجمعت الأمة على ذلك دون نكير، وكان ذلك منقبة خالدة لا يزال التاريخ يذكرها بالجميل لأبي بكر في الإشراف، ولعمر في الاقتراح، ولزيد في التنفيذ، والصحابة في المعاونة والإقرار (١).

وامتاز هذا الجمع البكريّ في مصحف واحد بميزات مهمة، منها:

أولًا: جُمِع فيها القرآن الكريم على أدق وجوه البحث والتحري، وأسلم أصول التثبت العلمي، فلم يقبل فيه إلاّ ما أجمع الجميع على أنه قرآن وتواترت روايته.

ثانيًا: اقتصر فيها على ما لم تُنسخ تلاوته.

ثالثًا: ظَفِرَت بإجماع الصحابة رضي الله عنهم عليها، وعلى تواتر ما فيها.

رابعًا: كان هذا الجمع شاملًا للأحرف السبعة التي بها نزل القرآن تيسيرا على الأمة الإسلامية.

خامسًا: أنه جمع في مصحف واحد مرتب الآيات والسور.

سادسًا : موافقته لما ثبت في العرضة الأخيرة (٢).

نتائج الجمع البكريّ وفوائده:

كان من نتائج الجمع في العهد البكريّ:

* أن القرآن الكريم قد سُجِّل كاملًا وقُيِّدَ بالكتابة.
* بهذا الجمع زال الخوف على ضياع القرآن بوفاة حَمَلَتِهِ وقُرَّائه.
* أن القرآن الكريم حُفِظ كُلّه في مصحف واحد وفي مكان واحد، بعد ما كان مبعثرًا في أماكن متفرقة.

---

[١]- ينظر: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين – عبد القيوم السندي (ص: ٢٠). كتاب المصاحف لابن أبي داود (١/١٨١-١٨٢). الإتقان للسيوطي (١/١٦٦). جمال القراء، السخاوي (١/٨٦)، فتح الباري، ابن حجر (٩/١٤).

[٢]- ينظر: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، عبد القيوم السندي (ص: ٣٠). جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، علي بن سليمان العبيد، (ص: ٣٩). الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة.

* اجماع الصحابة كلهم على ما سُجِّل في هذا المصحف البكري.

* أصبح القرآن الكريم بمنزلة الوثيقة المهمّة وسِجِلٍّ يُرْجَع إليه وقت الضرورة.

مدة الجَمع في عهد أبي بكر الصديق:

استغرق جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه قرابة خمسة عشر شهرًا حيث بدأ بعد معركة اليمامة وهي التي كانت سببا في جمع القرآن الكريم، والتي وقعت أحداثها في أواخر السنة الحادية عشرة أو أوائل الثانية عشرة، وانتهى قبل وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت في الشهر السادس من السنة الثالثة عشرة، وتم ذلك جمعًا وكتابة قبل وفاته رضي الله عنه، ويدل على ذلك قول زيد بن ثابت كما في حديث البخاري "فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله(١).

الجَمْع العُثْماني للقرآن:

تواتر من الأخبار التي لا يمكن دفعُها أن أولَ من خاطب عثمان في جمع القرآن وأشار به عليه وناشدُه الله في ذلك حذيفةُ بنُ اليمان، وأنه لما قدم عثمان وكان يجاهد مع أهل الشام في فتح إرمينية وأذَرْبيجانَ مع أهل العراق، فأفزَعَ حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – اختلافُهم في القرآن، فقال حذيفة بن اليمان لعثمان بن عفان: يا أمير المؤمنين، أدرِك هذه الأمَّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى".

فشرَع عثمانُ رضوانُ الله عليه عند ذلك في جمع الناس على القرآن، وأرسل إلى حفصة زوج النبي صلى الله عليه في شأن الصحيفة التي كانت عندها(٢).

تنبيه في جمع القرآن:

(... ثم إن حذيفة بن اليمان قدم من غزوة غزاها بمرج أرمينية فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أدرك الناس فقال عثمان: وما ذاك؟ قال:

١– ينظر: جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، علي بن سليمان العبيد، (ص: ٣٩).

٢– ينظر: الانتصار للقرآن للباقلاني (٢/٤٥٨). مناهل العرفان، الزّرقاني (١/٢٥٧). المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، (ص: ٢٩). الناشر: دار الفكر العربي. الإتقان للسيوطي (١/٢٠٣). قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن مرعي بن يوسف الكرمى المقدسي (المتوفى: ١٠٣٣هـ)، (ص: ٢٣٥)، تحقيق: سامي عطا، الناشر: دار القرآن – الكويت. أسرار ترتيب القرآن، السيوطي (ص: ١١).

غزوت مرج أرمينية فحضرها أهل العراق وأهل الشام فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة أُبَيّ بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق فيكفرونهم أهل العراق وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع به أهل الشام فيكفروهم أهل الشام، قال زيد: فأَمَرَني عثمان أَنْ أَكْتُب لَهُ مُصحَفًا وقال: إني جاعل معك رجلا لبيبا فصيحا فما اجتمعتما عليه فاكتباه وما اختلفتما فيه فارفعاه إليّ فَجَعل أَبَان بن سعيد بن العاص قال: فلما بلغنا قوله تعالى:﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، قال زَيدٌ: {التابوه} وقال أَبَان بن سعيد: {التابوت} قال: فرفعنا ذلك إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فقال اكتب {التابوت} قال: فلما فرغنا عَرَضْته عَرْضةً (أي: راجعته وقرأته مرة أخرى) فلم أجد فيه هذه الآية ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلاً ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣]، قال: فاستعرضتُ المهاجرين (أي: طَلَبتُ منهم) أسألهم عنها فلم أجدها (أي: مكتوبة) عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم فلم أجدها عند أحد منهم حتى وجدتها عند خزيمة بن ثابت، فكتبتها ثم عرضت عرضة أخرى (أي: راجعته مرة أخرى) فلم أجد فيه هاتين الآيتين {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} إلى آخر السورة قال: فاستعرضت المهاجرين فلم أجدها مع أحد منهم (أي: لم أجدها مكتوبة، وإلّا فكثيرٌ من الصحابة يحفظونها ومنهم زيد بن ثابت وأبان بن سعيد) ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها فلم أجد مع أحد منهم حتى وجدتها مع رجل آخر يدعى خُزَيمَة أيضا فأثبَتّهُ في آخر براءة، ثم عَرَضْتُه عَرْضةً أخرى فلم أجد فيها شيئا (أي: لم أجد شيئًا ناقصًا من القرآن في هذه العرضة) فأرسل عثمان إلى أمّ المؤمنين حَفْصَة بنت عُمر بن الخطاب يسألها أن تُعْطِيَهُ الصحيفة (المصحف الذي جُمِع في عهد أبي بكر الصّدّيق) وحَلَف لها لَيَرُدّنّها إليها قال: فأَعْطَتهُ إياها، فَعَرَض المصحف (الذي كتبه زيد) عليها (على الصُحُف التي كانت عند حفصة) فلم يختلف في شيء فَردّها إليها فَطَابت نفسه وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف على ذلك قال: فلما ماتت حفصة أرسل – يعني

مروان – إلى عبد الله بن عمر في الصحيفة يعرض عليه فأعطاه إياها فَغُسِلت غسلًا (أي: مُحِيَ ما فيها)"(١).

دوافع وبواعث الجمع في العهد العثماني:

– كان الباعث الأساسيّ في جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه هو أنه عندما اتسعت الفتوحات الإسلامية وانتشر الصحابة –رضي الله عنهم– في البلاد المفتوحة يعلمون أهلها القرآن وأمور الدين، ومن ثم كان كل صحابي يعلِّم بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة من الرسول – صلى الله عليه وسلم – واختلاف القراء في وجوه قراءة القرآن الكريم وتخطئه بعضهم البعض، بل وصل الأمر – أحيانًا – إلى تكفير بعضهم البعض، فأراد رضي الله عنه جمع الأمة على مصحف موحد مجمع عليه (٢).

فوائد وتنبيهات في جمع القرآن:

– يجب علينا عند قراءتنا للقرآن الكريم أن نعرف ونتيقن أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو مَن سَنَّ جمع القرآن وكتابته وأمر بذلك وأملاهُ على كَتَبَتِه الذين كانوا يكتبون الوحي بين يديه، وأنه – صلى الله عليه وسلم – لم يَمُتْ حتى حَفِظ جميع القرآن جماعة من أصحابه، وحفظ الكثيرون منهم أكثرُهُ مُتَفرِّقًا، وعرفوا مواقع آياته وسوره ومواضعها.

– وأن أبا بكر وعمرَ وزيدَ بن ثابت وجماعة الأمة أصابوا في جمع القرآن بين اللوحين، وتحصينه وإحرازه وصيانته، وجَرَوا في كِتابتِهِ على طريقة كتابة الرسول وسُنّته – صلى الله عليه وسلم –، وأنهم لم يُثبِتوا منه شيئًا غير معروف، ولا ما تقم الحُجة به.

[١]– ينظر: الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلاني (٦٤/١). المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة (٥٧/١). فضائل القرآن لابن كثير (ص: ٥٤). دليل الحيران على مورد الظمآن، أبو إسحاق إبراهيم المارغني التونسي المالكي (المتوفى: ١٣٤٩هـ) (ص: ٤). الناشر: دار الحديث– القاهرة.

[٢]– ينظر: أحكام القرآن أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) (٦٠٨/٢). راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م. فضائل القرآن، أَبُو العَبَّاسِ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ المُسْتَغْفِرِيُّ، النَّسَفِيُّ (المتوفى: ٤٣٢هـ) (٣٥١/١)، تحقيق: أحمد بن فارس السلوم، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م. دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي (ص: ٨٤)

– وأن أبا بكر رضيَ الله عنه قد أحسنَ وأصاب، ووُفِّق لفَضلٍ عظيم في جمع الناس على مصحف واحد وقراءات محصورة، ومنع ما سوى ذلك.

– وأن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وعترتَه، وشيعته متبعون لرأي أبي بكر وعثمان، في جمع القرآن، وأن عَليًا – رضي الله عنه – أخبر بصواب ذلك نطقا، وشهد به، وأن عثمان لم يقصد قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروضة على الرسول، وإلغاء ما لم يجرِ مجرى ذلك، لما فيه من التخليط والفساد، وخشية دخول الشبهة على من يأتي من بعد، وأن الجمع العثماني لم يُسقط شيئًا من القراءات الثابتة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وأنه لا مجال لإعمال الرأي والقياس في إثبات قرآنية آية أو كلمة، أو قراءة وحرفٍ يقرأ القرآن عليه، وأن ذلك الجمع سنةٌ متبعةٌ، وروايةٌ مأثورة، وأن هذا هو باب إثبات القرآن والقراءات وطريقه الذي لا مَصرِفَ عنه ولا مَعدِل، وأن من أعمل الرأي في ذلك فقد ضل وأخطأ الحق، وتنكّبه.

– وأن القُرَّاء العشرة متبعون في جميع قراءاتهم الثابتة عنهم، التي لا شكوك فيها ولا أنكر عليهم أحد فيها بل سوّغها المسلمون، وأجازوها لمصحف الجماعة.

وأنهم قارئون بما أنزل الله جل ثناؤه، وأن ما عدا ذلك مقطوعٌ بإبطاله وفساده وممنوعٌ من القراءة به، وأنه لا يجوز ولا يسوغُ القراءة على المعنى دون اتّباع لفظ التنزيل، وإيراده على وجهه، وسببه الذي أنزل عليه، وأدَّاهُ الرسول – صلى الله عليه وسلم– (١).

– وأنه لا يمكن أن يكون الحجّاج بن يوسف أو غيره من الأمراء، أو من الملوك أو من الخلفاء قد أسقط شيئًا من مصحف عثمان رضي الله عنه أو زاد فيه أحرفا، أو غيّر شيئا مما تَضمنه من قراءة أو خطٍ أو رسمٍ، فلم يظهر ولم ينتشر انتشارًا تقوم به الحجة وينقطع به العُذر، ويعرف بعينه، ويضاف إلى فاعله.

– وأنه لا يجوز لأحدٍ أن يقرأ القرآن بخلاف جميع الأحرف والوجوه التي أُنزِل عليها، وإن كان ما قرأه لغةً للعرب، أو لبعضها، وأنه ليس في المتكلمين بلغة العرب من لا يَطُوعُ لسانه ويجري ببعض الأحرف والوجوه التي أنزل القرآن عليها، وأنّه لا يجوز القراءة بالفارسية، وأنه

---

[١]– ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢٣٣/١). فضائل القرآن لابن كثير (ص: ١٦٠). مصاعد النظر، البقاعي (٤١٤/١). الانتصار للقرآن للباقلاني (٦٥/١).

يجوز للألثغ والألكن والتمتام أن يقرأ القرآن على وجه ما ينطق به لسانه، ويجب علينا أن نعلمُ أن الله جل ثناؤه لم ينزله بلفظ الألكن والتمتام.

– وأن القرآن آية للرسول – صلى الله عليه وسلم – ومعجزته الخالدة الشاهدة بصدقه، الدّالّة على نبوته من وجوه:

أحدها: ما فيه من عجيب النظم، وبديع الوزن والرصف المخالف لجميع أوزان العرب ونظومه، وأنه لا قدرة لأحدٍ من الخلق على تأليف مثله، ونظم مثل سورة منه، أو آية من طوال سوره أو من قصار سوره، ولو كان في الفصاحة ما كان.

ثانيهما: ما تضمنه من أخبار الغيب والذي لا يستطيع أحد التنبؤ به، واليوم الآخر وما يكون فيه، وذكر ما سيحدث ويكون إلى يوم القيامة.

والوجه الثالث: ما انطوى عليه من قصص الأولين وسنن النبيين، وأحوال الأمم المتقدمين مع أنبيائهم، ومصائرهم التي لا يعرفها ولا يحيط بها أحد إلا ما جاء في بعض كُتب أهل الكتاب، مع العلم بأن النبي – صلى الله عليه وسلم – معروف عنه كل ما حدث في مقامه وظعنه وانه لم يلتقي بأحد من السحرة والكهنة ومن عندهم علم من الكُتب السابقة، وأنه لم يكن يتلو قبل ذلك كتابا ولا يخط بيمينه حرفًا "(١).

لجنة الجمع في العهد العثماني:

وقع خلاف في عدد اللجنة المُكَلّفة بالجمع في العهد العثماني:

فقيل: هم خمسة: وقيل: هم اثنا عشر رجلًا غير أن ما عليه الجمهور أنهم أربعة فقط وهم: زيد بن ثابت من الأنصار، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (الثلاثة من قريش) (٢).

أما زيد بن ثابت فقد سبقت ترجمته، وأما الثلاثة فهم:

الأول: عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، أمه هي أسماء بنت أبي بكر الصديق، وهو أحد العبادلة الأربعة، فارس قريش في زمنه، من خطباء قريش المعدودين، وأول مولود للمهاجرين في المدينة بعد الهجرة، وله صحبة، ورواية أحاديث. عداده في

[١]– ينظر: الانتصار للقرآن للباقلاني (٦٦/١).

[٢]– ينظر: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، عبد القيوم السندي (ص: ٣٦).

صغار الصحابة، وإن كان كبيرا في العلم والشرف والجهاد والعبادة. بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ، وجعل قاعدة ملكه المدينة، ودامت خلافته تسع سنين، وهو أول من ضرب الدراهم المستديرة، وقتل مظلومًا بمكة بعد قتال عنيف بينه وبين الحجاج بن يوسف الثقفي، في جمادى الأولى سنة ٧٣هـ. (١).

الثاني: سعيد بن العاص بن أمية الأموي القرشي، صحابي من الأمراء الولاة الفاتحين، تربى في حجر عمر بن الخطاب، وولاه عثمان الكوفة، وهو شاب، ثم استدعاه عثمان إلى المدينة فأقام فيها إلى أن كانت الثورة على عثمان، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن استشهد عثمان، فخرج إلى مكة فأقام فيها إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة فتولاها إلى أن مات بها في سنة ٥٩هـ، وكانت ولادته قبل بدر، وهو فاتح طبرستان، وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، كان قويًا سخِيًّا فصيحًا ، عاقلًا حليمًا ، اعتزل معركتي الجمل والصفين، وقد كان سعيد بن العاص أحد من ندبه عثمان لكتابة المصحف؛ لفصاحته، وشبه لهجته بلهجة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكان من فصحاء قريش، ولهذا ندبه عثمان فيمن ندب لكتابة القرآن، قال ابن أبي داود في المصاحف: حدّثنا العباس بن الوليد، حدّثنا أبي، حدّثنا سعيد بن عبد العزيز، أنّ عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص، لأنه كان أشبههم لهجة برسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم (٢).

الثالث: أبو محمد عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي المدني، شهد الجمل مَعَ عَائِشَة، وكان صهر عثمان، تزوج مريم ابْنَة عثمان، وهو ممن أَمَرَه عثمان أن يكتب المصاحف مَعَ زَيْد بْن ثابت، وسعيد بْن العاص، وعبد اللَّه بْن الزُّبَيْر، رضي الله عنهم أجمعين، وتزوج عمر رضي الله عنه والدته بعد وفاة أبيه في طاعون عمواس بالشام، فتربى في حجره، تابعي ثقة جليل القدر، ولد في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – ولم يسمع منه، كان من أشراف قريش، وأحد الأربعة الذين تولوا نسخ المصاحف العثمانية، وابنه أبو بكر أحد الفقهاء السبعة المعروفين، توفي بالمدينة سنة: ٤٣هـ. (٣).

---

[١]- ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣٩٧/٤). الإصابة، ابن حجر (٨٢/٤).

[٢]- ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤/ ٤٤٥). الإصابة، ابن حجر (٩٠/٣).

[٣]- ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤٦٩/٤). أسد الغابة، ابن عبد البر (٤٢٨/٣). الإصابة، ابن حجر (٢٣/٥).

وهؤلاء الأربعة هم الذين كوّن أمير المؤمنين عثمان بن عفان – رضي الله عنه – منهم لجنة، وعهد إليهم تنفيذ قرار نسخ المصاحف.
قال الحافظ ابن حجر: وكان ذلك في أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين من الهجرة النبوية، وهو الوقت الذي ذكر أهل التاريخ أن أرمِينِية فتحت فيه وهذا هو الصحيح من أقوال العلماء.

منهجية الجمع العثماني:

أرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها، فبعثت إليه بالصُّحُف التي جمع القرآن فيها في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وتسلمت اللجنة هذه الصُّحُف واعتبرتها المصدر الأساس في هذا الخطب الجلل، ثم أخذت اللجنة في نسخها، حسب الدستور والمنهج الذي وضعه لهم عثمان رضي الله عنه حيث قال للقرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم). وفي الترمذي كما سبق: (قال الزهري فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه فقال القرشيون التابوت وقال زيدٌ التابوه فرُفعَ اختلافهم إلى عثمان فقال اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش).
وكان ما ذكر من منهجهم أنهم كانوا لا يكتبون شيئًا في هذه المصاحف إلا بعد ما يتحققون منه أنه قرآن مَتْلُوّ مقروء به في العَرْضة الأخيرة، وغير منسوخ، وذلك بعرضه على حَمَلَتِه وحُفّاظه من قراء الصحابة، أما لو ثبت نسخ شيء من ذلك تركوه، وهو الذي يسمى اليوم: ب " القراءات الشاذة" وهي التي فقدت شرط من شروط التواتر.
وبعد أن تم لهم هذا كتبت اللجنة مصاحف متعددة، بالمنهج الآتي:
* جردوا المصاحف كلها من النَّقطِ والشَّكْل من أولها إلى آخرها.
* وحدوا الرسم فيما يلي:
أ – الكلمات التي لا تقرأ إلا بوجه واحد، نحو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، [الفاتحة:٥].
ب – الكلمات التي تقرأ بأكثر من وجه، وكتابتها برسم واحد توافق قراءتها بالوجوه المختلفة، موافقة حقيقة وصريحة، ويساعد على ذلك تجردها من النقط والشكل، نحو: (يَكذِبون) (١)

[١]– ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (٢/٢٠٧). الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، (ص: ٢٠٠). الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

قرأ الكوفيون بفتح الياء وتخفيف الذال، وقرأ الباقون بالضم والتشديد (يُكَذِّبون). وكلمة (فتبينوا) الموضعين هنا، وفي الحجرات فقرأ حمزة والكسائي وخلف في الثلاثة فتثبتوا من التثبت، وقرأ الباقون في الثلاثة من التَّبَيّن(١). (وننشرها): بالزاي المنقوطة أو بالراء المهملة فقرأ ابن عامر، والكوفيون بالزاي (ننشزها). وقرأ الباقون بالراء المهملة (ننشرها)(٢).

ج – الكلمات التي تقرأ بأكثر من وجه، وكتابتها برسم واحد توافق قراءتها بوجوه مختلفة، تقديرًا واحتمالًا نحو: (ملك يوم الدين) فقرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف بالألف مدا (مالك)، وقرأ الباقون بغير ألف قصرا ملك (٣) بحذف الألف وبإثباتها، حيث تحذف الألف وبإثباتها، حيث تحذف الألف من كلمات كثيرة اختصارًا لكثرة ورودها فيها، وهي لا تقرأ إلا بوجه واحد، نحو: (الله) ، (الرحمن) ، (العلمين)(٤). في مثل الكلمات والأمثلة المذكورة أعلاه كان رسمها واحدًا دون اختلاف.

أما الكلمات التي لا يدل رسمها على أكثر من قراءة فإنهم كانوا يرسمونها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي بعض آخر برسم آخر يدل على قراءة ثانية، كقراءة (ووَصَّى بها إبراهيم) بالتضعيف فقرأ المدنيان، وابن عامر (وأوصى) بهمزة مفتوحة صورتها ألفا بين الواوين مع تخفيف الصاد، وهو كذلك في مصاحف أهل المدينة والشام، وقرأ الباقون بتشديد الصاد من غير همزة بين الواوين، وكذلك هو في مصاحفهم. (وَوَصَّى) (٥)، وكذلك قراءة {تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} (التوبة:١٠٠) ، بحذف لفظ: (من) قبل (تحتها) ، أو بزيادتها تجري تحتها، وهو الموضع الأخير فقرأ ابن كثير بزيادة كلمة " من " وخفض تاء (تحتها) ، وكذلك هي في المصاحف المكية، وقرأ الباقون بحذف لفظ " من " وفتح التاء، وكذلك هي في مصاحفهم. (واتفقوا) على إثبات " من " قبل " تحتها " في سائر القرآن فيحتمل أنه إنما لم يكتب " من " في هذا الموضع لأن المعنى: ينبع الماء من تحت

١– ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٥١/٢). الوافي في شرح الشاطبية (ص: ٢٤٨).

٢– ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٣١/٢). الوافي في شرح الشاطبية (ص: ٢٢٣).

٣– ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٧١/١). الوافي في شرح الشاطبية (ص: ٥٠).

٤– ينظر: دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي (ص: ٩٤)

٥– ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٢٢/٢). الوافي في شرح الشاطبية (ص: ٢١١).

أشجارها، لا أنه يأتي من موضع وتجري من تحت هذه الأشجار، وأما في سائر القرآن فالمعنى أنها تأتي من موضع وتجري من تحت هذه الأشجار، وأما في سائر القرآن فالمعنى أنها تأتي من موضع وتجري تحت هذه الأشجار، المعنى خولف في الخط، وتكون هذه الجنات معدة لمن ذكر تعظيما لأمرهم وتنويها بفضلهم وإظهارا لمنزلتهم لمبادرتهم لتصديق هذا النبي الكريم – عليه من الله أفضل الصلاة وأكمل التسليم، ولمن تبعهم بالإحسان والتكريم، والله تعالى أعلم"(١).

قال العلامة الزُّرقاني:

"والذي دعا الصحابة إلى انتهاج هذه الخطة في رسم المصاحف وكتابتها أنهم تلقوا القرآن عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بجميع وجوه قراءاته، وبكافة حروفه التي نزل عليها، فكانت هذه الطريقة أدنى إلى الإحاطة بالقرآن على وجوهه كلها، حتى لا يقال: إنهم أسقطوا شيئًا من قراءاته، أو منعوا أحدًا من القراءة بأي حرف شاء على حين أنها كلها منقولة نقلًا متواترًا عنه – صلى الله عليه وسلم–، وهو القائل: "فأيّ ذلك قرأتُم أَصَبتُم فلا تماروا" أي فلا تختلفوا(٢).

مصير الصُّحُف المخالِفة للمصاحف العُثمانية:

اختلف العلماء في عدد النسخ التي كتبتها اللجنة في عهد أمير المؤمنين عثمان: فقيل إنها خمسة، وقيل إنها أربعة، وقيل إنها سبعة، وقبل غير ذلك. وأيًّا ما كان الأمر: فقد ترك عثمان – رضي الله عنه – نسخةً واحدة منها لتكون مرجعا لديه في دار الخلافة، وفي المدينة مهبط الوحي ومَنْزِل القرآن وموئل الإسلام، وأرسل بباقيها إلى الأمصار، كل نسخة إلى ناحية، كالكوفة والبصرة والشام، وقيل أيضا: إلى مكة واليمن والبحرين.

ولقد بقيت إحدى هذه النسخ في دمشق، بالمسجد الأموي الكبير حتى القرن الثامن الهجري، حيث يقول ابن كثير: "وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها –اليوم– المصحف الذى في الشام بجامع دمشق عند الرُّكن، شرقِيّ المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديما بمدينة طبرية، ثم نُقِلَ منها إلى دمشق في حدود ثماني عشرة وخمسمائة، وقد رأيته كتابا عزيزا

---

[١]– ينظر: النشر (٢/٢٨٠). الوافي في شرح الشاطبية (ص: ٢٨٣). جمع القرآن الكريم، عبد القيوم السندي (ص: ٣٩).

[٢]– ينظر: جمع القرآن الكريم، عبد القيوم السندي (ص: ٤١)، مناهل العرفان، الزُّرقاني: (١/٢٥٩).

جليلا عظيمًا ضخمًا بخطٍّ حسن واضح قوى بحبر مُحكَم، في رقّ أظنه من جلود الإبل، زاده الله تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا "(١).

وعلى كُلٍّ فبعد أن تم نَسْخ المصاحف العثمانية وكتابتها بالكيفية التي أوضحناها سابقًا ، أمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بإرسالها إلى الأقطار الإسلامية الشهيرة، وأرسل مع كل مُصحفٍ مقرئًا من الذين توافق قراءته في أغلبه قراءة أهل ذلك القُطْر، – وذلك لأن التلقي أساس في قراءة القرآن– وأمر أن يحرق كل ما عداها من الصُحُف أو المصاحف الشخصية الموجودة لدى الصحابة مما تخالفها، ليستأصل بذلك سبب الخلاف والنزاع بين المسلمين في قراءة كتاب الله، فاستجاب لذلك الصحابة – رضي الله عنهم –، فجُمِعَت المصاحف والصحف وحُرِقَت أو غُسِلت بالماء حتى يُمحى ما فيها ويُزال سبب الخلاف والاختلاف بين الناس(٢).

مزايا المصاحف العثمانية:

* الاقتصار على ما ثبت بالتواتر، دون ما كانت روايته آحادًا.

* إهمال ما نُسِخَت تلاوتُه ولم يَستَقِرّ في العَرْضة الأخيرة.

* ترتيب السور على الوجه المعروف الآن، بخلاف مصحف سيدنا أبي بكر – رضي الله عنه – فقد كانت مرتبة الآيات دون السور.

* كتابة هذه المصاحف بطريقة تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف التي نزل عليها القرآن لكن بدون إعجامها – تنقطها– وشكلها، ومن توزيع وجوه القراءات على المصاحف إذا لم يحتملها الرسم الواحد.

* تجريدها من كل ما ليس قرآنًا كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحًا لمعنى، أو بيانًا لناسخ ومنسوخ، أو نحو ذلك(٣).

فائدة في الفرق بين جَمْعَي أبى بكر وعثمان رضي الله عنهما:

١– ينظر: فضائل القرآن لابن كثير (ص: ٨٩).

٢– ينظر: المصاحف لابن أبي داود (ص: ٩٩)، جمع القرآن، السندي (ص: ٣٤). الواضح في علوم القرآن (ص: ٩٤).

٣– ينظر: في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، محمد عبد السلام كفافى وعبد الله الشريف(ص:٧٧)، الناشر: دار النهضة العربيه – بيروت. جمع القرآن الكريم، عبد القيوم السندي (ص: ٤٢).

– أن جمع أبى بكر كان سببه خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حَمَلته وحُفّاظه، لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي – صلّى الله عليه وسلم – مشتملا على الأحرف السبعة التي أُنزل بها القرآن.
أما جمع عثمان، فكان سببه كثرة الاختلاف في وجوه القراءة حتى كاد يُكَفّر بعضهم بعضًا، فجمع الناس على مصحف واحد، واقتصر فيه من سائر اللغات على حرف واحد وسُمّيَ ذلك (بالمصحف الإمام) وأجمع عليه سائر الصحابة، وتلقت الأمة ذلك بالقبول وتم إرسال المصحف الإمام إلى سائر الأقطار كمكة، والشام، واليمن، والكوفة وبقى واحد بالمدينة(١).

ترتيب الآيات والسور القرآنية:

أولا: حُكم ترتيب الآيات:

الإجماع معقود على أنه ترتيب الآيات توقيفي نقله السيوطي وقال: ولا شبهة في ذلك، وقال الزركشي: من غير خلاف بين المسلمين.
قال كاتب الوحي زيد بن ثابت: كنا عند النبي – صلّى الله عليه وسلّم – نُؤَلّف –نكتب– القرآن في الرقاع (١)
قال البيهقي: والمراد تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي صلّى الله عليه وسلّم.
وقال عثمان بن عفان– رضي الله عنه–: (كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا) (٢).
ويكفي ثبوت الترتيب قراءته صلّى الله عليه وسلّم لسور كثيرة بمشهد من الصحابة رضوان الله عليهم ثم نقله للتابعين على مثل ذلك، حتى وصل إلى جيلنا كذلك من غير خلاف على مر العصور.

---

[١]– ينظر: فقه قراءة القرآن الكريم أبو خالد سعيد عبد الجليل المصري (ص: ٢٥)، الناشر: مكتبة القدسي – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م. الواضح في علوم القرآن مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو(ص: ٩٢)، الناشر: دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

وربما يتوهم متوهم أن الخلاف في عدد الآيات، يعني الخلاف في ترتيبها، فقد روي أن عدد الآيات ستة آلاف آية فقط ومنهم من زادها مائتي آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة، وقيل: وتسع عشرة، فهذا الخلاف في العدد لا يعني أبدا الخلاف في الترتيب، ذلك أن سبب اختلاف السلف في عدد الآي ناجم عن وقوف النبي صلّى الله عليه وسلّم على رءوس الآي، فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة (٣).

كما أن بعض السلف يعدّ البسملة آية من كل سورة، وبعضهم لا يعدها، فيكون الفارق في عدد الآيات بمقدار عدد السور إلا واحدة وهي سورة براءة(١).

طريقة معرفة الآية:

لا سبيل إلى معرفة آيات القرآن إلا بتوقيف من الشارع لأنه ليس للقياس والرأي مجال فيها إنما هو محض تعليم وإرشاد بدليل أن العلماء عدوا {المص} آية ولم يعدوا نظيرها وهو {المر} آية وعدوا {يس} آية ولم يعدوا نظيرها وهو {طس} آية وعدوا {حم عسق} آيتين ولم يعدوا نظيرها وهو {كهيعص} آيتين بل آية واحدة فلو كان الأمر مبنيا على القياس لكان حكم المثلين واحدا فيما ذكر ولم يجيء هكذا مختلفا.

ذلك مذهب الكوفيين لأنهم عدوا كل فاتحة من فواتح السور التي فيها شيء من حروف الهجاء آية سوى حمعسق فإنهم عدوها آيتين وسوى طس. ولم يعدوا من الآيات ما فيه ر وهو الر والمر وما كان مفردا وهو ق ص ن أي لم يعدوا شيئا منها آية.

وغير الكوفيين لا يعتبرون شيئا من الفواتح آية إطلاقا. وحيث قلنا: إن المسألة توقيفية فلا يشتبهن عليك هذا الخلاف. لأن كلا وقف عند حدود ما بلغه أو علمه. ولا تقولن كيف عدوا ما هو كلمة واحدة آية؟ لأن الوارد عن الشارع هو هذا كما عدت كلمة {الرحمن} في صدر سورة الرحمن آية وكما عدت كلمة {مدهامتان} آية وقوفا عند الوارد. (٢).

عدد آي القرآن فقد اتفق العادون على أنه ستة آلاف ومائتا آية وكسر إلا أن هذا الكسر يختلف مبلغه باختلاف أعدادهم:

---

[1]- ينظر: مناهل العرفان، الزّرقانيّ (١/٣٤٠). محاضرات في علوم القرآن، غانم قدورى (ص: ٦٩). المحرر في علوم القرآن، د مساعد بن سليمان الطيار (ص: ١٩٧). الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

[2]- ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٣٤٣).

ففي عدد المدني الأول سبع عشرة وبه قال نافع.
وفي عدد المدني الأخير أربع عشرة عند شيبة وعشر عند أبي جعفر.
وفي عدد المكي عشرون.
وفي عدد الكوفي ست وثلاثون. وهو مروي عن حمزة الزيات.
وفي عدد البصري خمس وهو مرويٌّ عن عاصم الجحدري. وفي رواية عنه أربع وبه قال أيوب بن المتوكل البصري وفي رواية عن البصريين: تسع عشرة روي ذلك عن قتادة.
وفي عدد الشامي ست وعشرون وهو مروي عن يحيى بن الحارث الذماري اهـ.

فوائد معرفة الآيات:

يزعم بعض الناس أنه لا فائدة من معرفة آيات القرآن. وللرد عليهم نذكر لهذه المعرفة فوائد:

الفائدة الأولى: العلم بأن كل ثلاث آيات قصار معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم. وفي حكمها الآية الطويلة التي تعدل بطولها تلك الثلاث القصار. ووجه ذلك أن الله تعالى أعلن التحدي بالسورة الواحدة فقال سبحانه: {وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله} والسورة تصدق بأقصر سورة كما تصدق بأطول سورة. وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر وهي ثلاث آيات قصار. فثبت أن كل ثلاث آيات قصار معجزة وفي قوتها الآية الواحدة الطويلة التي تكافئها.

الفائدة الثانية: حسن الوقف على رؤوس الآي عند من يرى أن الوقف على الفواصل سنة بناء على ظاهر الحديث الذي استدلوا به فيما يرويه أبو داود عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية يقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف. {الحمد لله رب العالمين} ثم يقف. {الرحمن الرحيم} ثم يقف.

الفائدة الثالثة: اعتبار الآيات في الصلاة والخطبة قال السيوطي ما نصه: يترتب على معرفة الآي وعددها وفواصلها أحكام فقهية منها اعتبارها فيمن جهل الفاتحة فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات. ومنها اعتبارها في الخطبة فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة ولا يكفي شطرها إن لم تكن طويلة وكذا الطويلة على ما حققه الجمهور. ثم قال: ومنها اعتبارها في السورة

التي تقرأ في الصلاة أو ما يقوم مقامها وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصبح بالستين إلى المائة. ومنها اعتبارها في قراءة قيام الليل إلى آخر ما قال(١).

ثانيا- السور القرآنية:

معناها: لفظ السورة مفرد يجمع على سور، كغرفة وغرف، وتطلق لغة على المنزلة من البناء، أي: الصف من صفوفه التي يوضع بعضها فوق بعض، كما تطلق ويراد بها المنزلة الرفيعة، وسمّيت السورة من القرآن بهذا الاسم تشبيها لها بسورة البناء، فإنها قطعة من كتاب الله محكمة مترابطة، يكمل بعضها بعضا في الغرض الذي أنزل من أجله، كما أن المنزلة من البناء قطعة متماسكة يكمل بعضها بعضا، ويتحقق باجتماعها الغرض الذي من أجله أقيم البناء، أو سمّيت بذلك لارتفاعها، لكونها من كلام الله، وعلى كلا التقديرين فالمناسبة حاصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي.

أما معناها الاصطلاحي فما سبق ذكره (بأنها طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها معروفة بالسماع).

وسور القرآن تختلف طولا وقصرا، فسورة الكوثر هي أقصر سور القرآن إذ يبلغ عدد آياتها ثلاث آيات، وسورة البقرة أطول سور القرآن، وقد تجاوزت الجزأين، وقد قسم القرآن حسب طول السور وقصرها إلى أربعة أقسام:

١- السور الطوال: وهي سبع: سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، أما السورة السابعة فقيل: إنها سورة الأنفال والتوبة معا، إذ لم يكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم وقيل: سورة يونس.

٢- المئون: وهي كل سورة تزيد آياتها على مائة.

٣- المثاني: وهي التي تلي المئين أي ما كان عدد آياتها أقل من مائة وسميت بالمثاني لأنها تثنى (أي: تكرر) أكثر مما تثنى الطوال والمئون.

٤- المفصل: أواخر القرآن ابتداء من سورة (ق) أو الحجرات وانتهاء بسورة الناس(٢).

حكم ترتيب السور القرآنية

---

[1]- ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٢١١/١). مناهل العرفان، الزّرقاني (٣٤٥/١).

[2]- ينظر: المنار في علوم القرآن (ص: ١٦٧).

هل ترتيب السور توقيفي أو هو باجتهاد من الصحابة؟

خلاف بين العلماء، فجمهور العلماء على الثاني منهم مالك والقاضي أبو بكر في قوليه.

ومن ثم فإنّ في ترتيب السور ثلاثة آراء:

١ – ترتيب جميع السور توقيفي: ويستدل أصحاب هذا الرأي بقصة معارضة جبريل القرآن على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهذا يعني أن جبريل كان يقرأ القرآن مرتبا بسوره وآياته. وأقوى أدلة هذا الفريق هو إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على المصحف العثماني وحرقهم لجميع المصاحف المختلفة الترتيب في السور.

٢ – ترتيب جميع السور اجتهادي.

ويستدلون على ذلك باختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب السور، ولو كان الترتيب توقيفيًّا لما اختلفوا. وكذلك ما روي عن عثمان– رضي الله عنه– أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قبض ولم يبين للصحابة أمر سورتي الأنفال وبراءة، وكانت الأنفال من أول ما نزل من القرآن وكانت براءة من آخر ما نزل، ولما ترك النبي صلّى الله عليه وسلّم البيان قال عثمان: كانت قصتها شبيهة بقصتها، – أي: متشابهتان في الأسلوب والمعنى – فظننت أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتها في السبع الطوال، فهذه القصة تدل على أن ترتيب السور كان أمرا اجتهاديا(١).

٣ – ترتيب بعض السور توقيفي وبعضها الآخر اجتهادي.

وقد وصف الزرقاني هذا القول بأنه أمثل الآراء وإليه ذهب فطاحل العلماء.

وأصحاب هذا الرأي وإن اتفقوا على هذا التقسيم إلّا أنهم اختلفوا في مقدار التوقيفي والاجتهادي.

وعلى أية حال فإن الذي لا مجال للشك فيه أن كتابة القرآن بترتيبه المعروف في السور والآيات قد أجمعت عليه الأمة، منذ الجمع الأول والثاني وحتى عصرنا الحاضر.

لذا نميل إلى الرأي الأول، لأن إجماع الصحابة وإقرارهم كاف للدلالة على توقيف ترتيب السور، ولا نعلم عنهم خلافا، فكفى بذلك دليلا وبرهانا، والله أعلم (٢).

فائدة في أعداد خاصة بالقرآن

---

[١]– ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٢١٦/١).

[٢]– ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٢٢٥/١).

تقسيم القرآن بحسب سوره:

قال العلماء رضي الله عنهم القرآن العزيز أربعة أقسام ١- الطُّول. ٢- المئون. ٣- المثاني. ٤- المُفَصَّل.

وقد جاء ذلك في حديث مرفوع أخرجه أبو عبيد عن واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أُعْطِيتُ السَّبعُ الطِول – بضم الطاء وكسرها- مكان التوراة وأُعْطِيتُ المئين مكان الإنجيل، وأُعْطِيتُ المثاني مكان الزبور وفُضِّلْتُ بالمفصل"

- فالسبع الطول أولها البقرة وآخرها براءة، وسميت طولا لطُولها.

- والمئون: ما وَلِيَ السبع الطول – بعدها- سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها.

- والمثاني: ما وَلِيَ المئين.

- والمُفَصّل: ما يلي المثاني من قصار السور سمي مفصلا لكثرة الفصول التي بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم وقيل لقلة المنسوخ فيه.

- واختلف العلماء في أيّ سورة أول المُفَصّل على اثنا عشر قولًا ، والصحيح عند أهل الأثر أن أوله سورة (ق) (١).

أما سور القرآن: فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يُعْتَدّ به.

أما عدد آياته قال الإمام الدَّانِي: أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك فمنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات وقيل: وأربع عشرة وقيل: وتسع عشرة وقيل: وخمس وعشرون وقيل: وست وثلاثون(٢).

وعدّ قومٌ كلمات القرآن سبعة وسبعون ألف كلمة وتسعمائة وأربعا وثلاثين كلمة. وقيل: وأربعمائة وسبع وثلاثون. ومائتان وسبع وسبعون وقيل: غير ذلك.

فأجمعوا على أن كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفا.

وقيل: إن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك على أقوال فمنهم من لم يزد على ذلك ومنهم من قال ومائتا آية وأربع آيات وقيل وأربع عشرة آية وقيل مائتان

---

[١]- ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشيّ (١/٢٤٤).

[٢]- ينظر: الإتقان، للسيوطي (١/٢٤٢).

وتسع عشرة آية وقيل مائتان وخمس وعشرون آية أو ست وعشرون آية وقيل مائتان وست وثلاثون حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتاب البيان"(١).

وقيل: إن سبب الاختلاف في عدّ الكلمات أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم، واعتبر العلماء كل منها جائز.

وقيل: إن القرآن العظيم له أنصاف باعتبارات:

فنصفه الأول بالحروف "النون" من: كلمة {نكرا} في الكهف، "والكاف" منها من النصف الثاني.

ونصفه الأول بالكلمات قوله: {والجلود} في سورة الحج، وقوله: {ولهم مقامع} من النصف الثاني.

ونصفه الأول بالآيات {يأفكون} من سورة الشعراء، وقوله: {فألقي السحرة} من النصف الثاني.

ونصفه الأول على عِدَاد السُّور آخر سورة الحديد، والمجادلة من النصف الثاني(٢).

ضوابط في العدّ:

البسملة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة من قرأ بحرف نزلت فيه عدّها آية ومن قرأ بغير ذلك لم يعدها.

وعدّ أهل الكوفة ﴿الٓمٓ ۝١﴾ حيث وقع آية، وكذا ﴿ الٓمٓصٓ ۝١﴾ و ﴿طه ۝١﴾ و ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ و ﴿طسٓمٓ ۝١﴾ و ﴿ يسٓ ۝١﴾ و﴿حمٓ ۝١﴾ وعدّوا ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ آيتين ومن عَدَاهم من أهل العدد لم يَعُدّ شيئا من ذلك آية.

– وأجمع أهل العدد على أن كُلًّا من { الر } حيث وقع في سور (يونس، هود، يوسف، إبراهيم – عليهم السلام– والحِجر) ،﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١]، وكذا ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ

---

(١)– ينظر: البيان في عد آي القرآن، أبو عمر الداني (ص: ٧٩)، الإتقان، للسيوطي (١/٢٣٢).

(٢)– ينظر: الإتقان، للسيوطي (١/٢٣٩).

إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الرعد: ١]، و ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ﴾ [النمل: ١]، و ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾ و ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾ و ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾، لا يعدّونه آية.

ثم منهم من علّل بالأثر واتباع المنقول وأنه أمر لا قياس فيه ومنهم من قال لم يعدوا ص، و ن، و ق، لأنها على حرف واحد ولا طس لأنها خالفت أخويها بحذف الميم ولأنها تشبه المفرد كقابيل ويس وإن كانت بهذا الوزن لكن أولها ياء فأشبهت الجمع إذ ليس لنا مفرد أوله ياء. ولم يعدوا (الر) بخلاف الم لأنها أشبه بالفواصل من الر وكذلك أجمعوا على عد {يا أيها المدثر} آية لمشاكلته الفواصل بعده واختلفوا في: {يا أيها المزمل}(١).

فائدة في معرفة عدّ الآي:

يترتب على معرفة الآي وعدها وفواصلها بعض الأحكام الفقهية:

منها: اعتبارها فيمن جهل الفاتحة أو لا يستطيع قراءتها، فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات.

ومنها: اعتبارها في الخطبة فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة ولا يكفي شطرها إن لم تكن طويلة وكذا الطويلة على ما أطلقه الجمهور.

ومنها: اعتبارها في السورة التي تقرأ في الصلاة أو ما يقوم مقامها ففي الصحيح أنه كان يقرأ في الصبح بالستين إلى المائة.

ومنها: اعتبارها في قراءة قيام الليل ففي الأحاديث: "من قرأ بعشر آيات لم يكتب من الغافلين"، و "من قرأ بمائة آية كتب من القانتين"، و "من قرأ بمائتي آية كتب من الفائزين"، "ومن قرأ بثلاثمائة آية كتب له قنطار من الأجر"، ومن قرأ عشر آيات من سورة الكهف عُصم من الدجال، إلى غير ذلك مما هو مُعتَبَرٌ فيه عدد الآيات". ومنها: اعتبارها في الوقف عليها من عدمه(٢).

---

[١]- ينظر: البرهان في علوم القرآن (٣٥٦/١).

[٢]- ينظر: الإتقان، للسيوطي (٢٤٠/١). الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ) (٩٢/٢). الناشر: مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥هـ.

رسم المصحف:

الرسم لغةً: الأَثَر، وهو بمعنى المرسوم (١).

الرسم في الاصطلاح: هو تصوير اللفظ بحروف هجائه، بتقدير الابتداء به، والوقوف عليه لتتحول اللغة المنطوقة إلى آثار مرئية(٢).. وقيل هو مطابقة الخط للَّفظ(٣).

والرسم العثماني" هو عِلمٌ تُعرفُ به مخالفات خطّ المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي(٤)، وهو ما كتبه الصحابة –رضي الله عنهم –من الكلمات القرآنية في المصحف العثماني على هيئة مخصوصة لا تتفق مع قواعد الكتابة"(٥).

وسُمّيَ بالرسم العثماني نسبة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان لأنه هو الذي أَمَر بنسخ المصحف بعد اختلاف الصحابة في إحدى المعارك بأرمينية.

والمقصود برسم المصحف، أو كما يسميه بعض العلماء الرسم العثماني (وهما بمعنى واحد)، لأن عثمان– رضي الله عنه– قد كَتب المصاحف كما كُتِبت في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم–، وأقر كُتّاب الوحي على كتابتها بصورتها المعروفة.

– وقد اختلف العلماء في الرسم فذهب فريق منهم أن الرسم توقيفي. قال ابن المبارك وقال الدباغ: (ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن العزيز ولا شَعْرةٌ واحدةٌ، وإنما هو توقيف من النبي – صلى الله عليه وسلم –، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الأحرف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول، وما كانت العرب في جاهليتها، ولا أهل الإيمان من سائر الأمم في أديانهم يعرفون ذلك، ولا يهتدون بعقولهم إلى شيء منه، وهو سر من أسراره، خص الله كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، فلا يوجد شبه ذلك الرسم لا في التوراة ولا في الإنجيل، ولا في غيرهما من الكتب السماوية(٦).

---

[1] – ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس: مادة رسم (٣٩٣/٢).

[2] – ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: (٣١٢/٣). التعريفات للجرجاني: (ص: ١٣٣).

[3] – ينظر: لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني: (ص: ٢٨٤).

[4] – ينظر: دليل الحيران على موارد الظمآن (ص:٨٢). مختصر التنزيل لأبي داود سليمان بن نجاح (١٣٣/١)

[5] – ينظر: مناهل العرفان للزّرقاني (١/ ٣٦٩)، تاريخ القرآن، محمد طاهر كردي (ص: ٩٣).

[6] – ينظر: كتابه الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، (ص:٨٧).

وكما أن نظْم القرآن وأسلوبه مُعْجِزٌ فرسمه بكتابته المعروفة أيضا معجز، وإلّا فكيف تهتدي العقول إلى سر زيادة الألف في مائة دون فئة، وإلى سر زيادة الياء في (بأييد) من قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَـٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾ [الذاريات: ٤٧].

أم كيف يتوصل إلى سر زيادة الألف في (سعوا) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥١﴾ [الحج: ٥١].

وعدم زيادتها في (سعو) من قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ: ٥].

وإلى سر زيادتها في (عتوا) من قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾ [الأعراف: ٧٧].

وحذفها من (عتو) في قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ۝٢١﴾وعتوا عتوا كبيرا [الفرقان: ٢١]. وإلى سر زيادتها في (أو يعفوا) قوله تعالى:﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وإسقاطها من (أن يعفو) في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡ﴾ [النساء: ٩٩].

أم كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف الألف في بعض الكلمات المتشابهة دون بعض، كحذفها من كلمة قرءانا في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ في [يوسف: ٢] ﴿إِنَّا جَعَلۡنَـٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [الزخرف: ٢)، وإثباته في سائر المواضع قرآنا مثل قوله تعالى: ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾، [ق: ١].﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ

﴿١﴾ [ص: ١]. وكذا إثبات الألف بعد الواو في سماوات في [سورة فصلت: ١٢] ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾، وحذفها في غيرها سموت مثل قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾، [الدخان: ٧]. وكذا في إطلاق بعض التاءات وربطها نحو «رحمة» و «نعمة» و «جنة» و «قرة» و «شجرة» فإنها في بعض المواضع كتبت بالتاء المفتوحة هكذا «رحمت» و «نعمت» و «جنت» و «قُرّت» و «شجرت» وفي مواضع أخرى كتبت بالهاء... وكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية، وأساليب بلاغية وبيانية إعجازية).

وذهب الفريق الثاني: منهم ابن خلدون والباقلاني وأبو شامة والفراء وغيرهم إلى أن الرسم اصطلاحي واجتهادي لا توقيفي. (١).

والقول بتوقيف الرسم هو الأولى بالقبول والله أعلم.

قال البيهقي: من يكتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئا، فإنهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم. نص الإمام مالك على أنه لا تكتب المصاحف إلا على وضع كتابة مصحف عثمان بن عفان.

وقال الإمام أحمد: (تَحرُم مخالفة خط مصحف عثمان واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك).

بقي القول في حكم كتابة بعض آيات القرآن استشهادا أو كتابتها على اللوح للتعليم أو غير ذلك مما يكتب في غير المصاحف.

وهذا الجمهور على أن هذا جائز لأن النبي صلى الله عليه وسلم حين أمر كتابه أن يكتبوا للملوك والرؤساء كانت كتابتهم على رسم الكتابة الاعتيادية، وعلى غير الرسم الذي كانوا يكتبون به المصاحف التي يكتبون فيها القرآن حين نزوله، مع أن المملي واحد والكتاب هُم الكُتّاب، فالرسم القرآني يجب التزامه في كتابة المصحف وحده دون غيره، ولا يقاس عليه لأنه أمر توقيفي لغير علة فلا يدخله القياس(٢).

---

[١]- ينظر: مناهل العرفان، الزّرقاني (١/٣٣٩). المنار في علوم القرآن، محمد الحسن (ص:١٧١).

[٢]- ينظر: مناهل العرفان، (١/٣٣٩). المنار في علوم القرآن، محمد الحسن (ص:١٧١). الإتقان للسيوطي (٢/١٦٧).

القرءان المكي والمدني:

تُولِي الأمم والشعوب والمجتمعات اهتمامها البالغ بالمحافظة على تراثها الفكري ومقومات حضارتها، والأمة الإسلامية أحرزت قصب السبق في عنايتها بتراث الرسالة المحمدية التي شرفت به الإنسانية جمعاء، لأنها ليست رسالة علم أو إصلاح يحدد الاهتمام بها مدى قبول العقل لها واستجابة الناس إليها، وإنما هي –فوق زادها الفكري وأسسها الإصلاحية– دين يخامر الألباب ويمتزج بحبات القلوب، فنجد الصحابة والتابعين ومن بعدهم يضبطون منازل القرآن آية آية ضبطا يحدد الزمان والمكان، وهذا الضبط عماد قوي في تاريخ التشريع يستند إليه الباحث في معرفة أسلوب الدعوة، وألوان الخطاب، والتدرج في الأحكام والتكاليف، وقد روى البخاري في ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: "والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت؟ ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت؟ ولو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه" وقد عني العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة، فتتبعوا القرآن آية آية، وسورة سورة، لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب، لا يكتفون بزمن النزول، ولا بمكانه، بل يجمعون بين الزمان والمكان والخطاب، وهو تحديد دقيق يعطي للباحث المنصف صورة للتحقيق العلمي في علم المكي والمدني، وهو شأن علمائنا في تناولهم لمباحث القرآن الأخرى(١).

وقد اختلف العلماء في تعريف القرآن المكيّ والمَدَنيّ فمنهم من اعتَدَّ بزمن نزول القرآن الكريم، ومنهم من اعتَدَّ بمكان نزول القرءان الكريم، ومنهم من اعتَدَّ بالفئة المخاطبة.

وقال السيوطي – رحمه الله – معلقًا على هذا "واعلم أن للناس في المكيّ والمدنيّ اصطلاحات ثلاثة:

أشهرها: أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار.

الثاني: أن المكيّ ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدنيّ ما نزل بالمدينة وعلى هذا تثبت الواسطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني.

---

[١]– ينظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٤٩).

الثالث: أن المكيّ ما وقع خطابا لأهل مكة والمدنيّ ما وقع خطابا لأهل المدينة.

والقول الراجح هو: أنّ المكي: هو ما نزل من القرآن الكريم قبل الهجرة على مدار عشرة سنوات، سواء أكان مكان نزوله مكة أم ضواحيها.

والمدنيّ: هو ما نزل من القرآن الكريم بعد الهجرة النبويّة على مدار ثلاثة عشر سنة، سواء أكان مكان نزوله المدينة، أم مكة بعد فتحها، أم أيّ مكان في الجزيرة ذهب إليه النبي صلى الله عليه وسلم(١).

طريق معرفة المكي والمدني:

الأصلَ في معرفة المكي والمدني من السور والآيات إنما هو النقلُ عن الصحابة الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم، وإذا تأملت ما حكاه العلماء من المكي والمدني وجدت ما يأتي:

١ – قسم وقع الاتفاق عليه بأنه مكي أو مدني.

٢ – قسم وقع الخلاف فيه بين العلماء من الصحابة أو ممن هو دونهم.

٣ – أنَّ هذا الاختلاف كان في الآيات أكثر منه في السور، وبهذا كان لا بدَّ من الاجتهاد في هذا المختلَف فيه، وكان لا بدَّ من وجود ضوابط للترجيح في هذا الاختلاف، فصار الأمر في معرفة المكي والمدني على طريقين: الطريق النقلي والطريق القياسي الاجتهادي.

أما النقلي فظاهرٌ، فإذا وقع الاتفاق أو وقع النقل عن واحد من الصحابة ليس له مخالف فالأمر على ما قال، والمنقول هو الأغلب الأعم في باب المكي والمدني دون القياسي.

وأما القياسي الاجتهادي فإنه يقوم على معرفة ما يمكن القياس عليه، وهو ما دلَّ بالاستقراء من موضوعات المكي والمدني وأسلوبهما في السور والآيات، وقد استنبط العلماءُ عددًا من الضوابط التي يُعرف بها المكي والمدني (٢).

---

[١]– ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٣٧/١).

[٢]– ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص: ١١٢).

خصائص وضوابط المكيّ والمَدَنيّ:

من خصائص القرآن المَكِّيّ:

أورد بعض العلماءِ ضابطًا يتعلق بالخطاب.

١- فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه (ت٣٢هـ) أنه قال: "ما كان فيه الخطاب ب {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فنزل بالمدينة وما كان {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} فبمكة". وهذا الضابط أغلبي، وليس كليًّا ؛ لأنه ورد في القرآن المدني الخطاب بـ (يا أيها الناس)، فقد أجمع العلماء على أن سورة النساء مدنية، وأولها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

٢- عن عروة بن الزبير (ت٩٤هـ) قال: "كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون؛ فإنما نزل بمكة، وما كان من الفرائض والسنن؛ فإنما نزل بالمدينة".

وهذا الضابط أغلبيٌّ أيضًا؛ لأنه ورد في القرآن المدني شيءٌ من ذكر الأمم والقرون . كقصة آدم وإبليس وقصة موسى في سورة البقرة المدنية .، لكنه في القرآن المكي أكثر.

كما أنه من جهة الفرائض والسنن أغلبي كذلك؛ لأن بعض الأحكام أو أصولها قد فُرِضت بمكة، لكن أكثر الأحكام وتفاصيلها إنما نزلت بالمدينة(١).

٣- كل سورة ورد في أولها أحرف تهجٍ فهي مكية، سوى البقرة وآل عمران والرعد، وفي سورة الرعد خلاف.

٤- كل سورة ورد فيها لفظ (كلا)، فهي مكية، ولم يرد هذا اللفظ إلا في النصف الثاني من سور القرآن، من سورة مريم حتى الناس.

٥ - كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية؛ لأن النفاق لم يظهر إلا في المدينة.

٦- كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

٧ - كل سورة نزل فيها جدال لأهل الكتاب وذكر لأحوالهم ومخازيهم فهي مدنية.

كما يتميّز بمميزات منها:

---

[١]- ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص: ١١٣). الإتقان، السيوطي (١/ ٤٧- ٤٩).

١- المكيّ بِقِصَرِ آياته مع قوة الأسلوب.

٢- يضع القرآن المكيّ الأُسُس العامّة للتشريع وأصول الإسلام.

٣- الإكثار في القرآن المكيّ من الأسلوب القصصي عن الأمم السابقة.

٤- تمحور حول: الدعوة إلى عقيدة التوحيد، وإثبات صدق الرسالة، وبيان فضائل الأخلاق.

خصائص القرآن المَدَنِيّ:

١- يتميز القرآن المدنيّ بطول آياته، وسهولة ألفاظها، وهدوء الأسلوب فيها.

٢- يكثر الحديث في المدني عن التشريعات التفصيلية والأحكام العمليَّة في العبادات، والأحوال الشخصيّة، والمعاملات.

٣- يبين قواعد التشريعات المتعلّقة بالجهاد وأحكامه، وفضح المنافقين وكشف مؤامراتهم.

٤- تمحور القرآن المدنيّ حول: بيان الفرائض، بيان الحقوق والواجبات المنظّمة لحياة النّاس، الجهاد ولأحكامه، تفاصيل لأحكام الحدود(١).

السور المكية والمدنية:

اختلف العلماء في عدد السور المدنية، وقد نقل السيوطي عن ابن الحصار أن المدني عشرون سورة وهي: (١- البقرة، ٢- آل عمران، ٣- النساء، ٤- المائدة، ٥- الأنفال، ٦- التوبة، ٧- النور، ٨- الأحزاب، ٩- محمد، ١٠- الفتح، ١١- الحجرات، ١٢- الحديد، ١٣- المجادلة، ١٤- الحشر، ١٥- الممتحنة، ١٦- الجمعة، ١٧- المنافقون، ١٨- الطلاق، ١٩- التحريم، ٢٠- النصر)،

والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة وهي: (١- الفاتحة، ٢- الرعد، ٣- الرحمن، ٤- الصف، ٥- التغابن، ٦- المطففين، ٧- القدر، ٨- البينة، ٩- الزلزلة، ١٠- الإخلاص، ١١- الفلق، ١٢- الناس)، وما عدا السور المذكورة فهو مكي وعددها اثنتان وثمانون سورة.

[١]- ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص: ١١٤).

والراجح من أقوال العلماء أن السور المدنية عددها ٢٨ سورة وهي: (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الانفال، التوبة، الرعد، الحج، النور، الاحزاب، محمد، الفتح، الحجرات، الرحمن، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الصف، الجمعة، المنافقون، التغابن، الطلاق، التحريم، الانسان، البينة، الزلزلة، النصر)، أما السور المكية فعددها ٨٦ سورة (١).

فائدة: لحفظ عدد السور المكية والمدنية هو تذكر عدد آيات سورة البقرة (٢٨٦ آية) أول رقمين يدل على عدد السور المكية (٨٦). آخر رقمين يدل على عدد السور المدنية (٢٨).

قال إبراهيم النائلي في منظومته لبيان المكي والمدني:

يَقَول ابراهيم وهو النَّائلـيُّ ... الحَمْـد لله المُهَيمِـنِ العَلِـيُّ

ثُم الصَـلاة كالجُمان عِقْدُ ... عَلَـى النَّبِيِّ المُصْطَفى وَبَعْدُ:

المَدَنِـي مِن سور القـرآنِ ... عِدَّتُهُ عِشْـرُونَ مَــعْ الثَمَانِ

فَالبَقَرَهْ مَع آل عمران سَمَتْ ... ثُمَّ النِّسَـاءُ المَائِـدَهْ قَـدْ رُتِّبَتْ

لَانْفَالُ وَالتَّوبَـةُ والرَّعدُ ثَبَتْ ... والحَـجُّ والنُّورُ والَاحْزَابُ أتَتْ

مُحـمَّـدٌ والفَتْحُ يَـا إِخْوَانُ ... والحُـجُـرَاتُ بَعْدُ وَالرَّحْمَنُ

مَعَ الحَـدِيدِ ثُّـمَّ تِسْـعٌ قَدْ تَلَتْ ... وَهْيَ جَمِيـعُ جُزْءِ قَدْ سَمِعْ جَلَتْ

لِانْسَـانُ والبَـيِّنَةُ الزَّلْـزَلَةُ ... والنَّصْـرُ تَـمَّ عَدُّهَا يَا إِخْوَةُ

وَغَـيْرُ مَا ذَكَـرْتُهُ مَـكِّيُّ ... فِي المُصْحَفِ الشَّرِيفِ يَا ذَكِيُّ

نَظَمْتُهَا فِي مَسْجِـدِ الرَّسُـولِ ... فَـمُـنَّ يَا رَحْمَـنُ بِالقَبُولِ

فوائد معرفة المكي والمدنيّ:

من فوائد معرفة المكي والمدني ما يلي:

---

[١]- ينظر: الإتقان (٤١/١). مناهل العرفان في علوم القرآن (١٩٨/١). مباحث في علوم القرآن القطان (ص: ٥٣).

ومما يذكر في فوائد معرفة المكي والمدني ما يأتي:

١- معرفة الناسخ والمنسوخ، فالمدني ينسخ المكي؛ إذ إن المتأخر ينسخ المتقدم.

٢- الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم؛ إذ أن معرفة مكان نزول الآية تعين على فهم المراد بالآية ومعرفة مدلولاتها، وما يراد فيها.

٣- معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام، وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد.

٤- استخراج سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وذلك بمتابعة أحواله بمكة المكرمة ومواقفه في الدعوة، ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها.

٥- بيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم واهتمامهم به حيث إنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني فحسب، بل تتبعوا أماكن نزوله، ما كان قبل الهجرة وما كان بعدها، ما نزل بالليل وما نزل بالنهار، ما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء، إلى غير ذلك من الأحوال.

٦- معرفة أسباب النزول، إذ أن معرفة مكان نزول الآية توقفنا على الأحوال والملابسات التي احتفت بنزول الآية.

٧- الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالما من التغيير والتحريف.

٨- معرفة الصحيح من الضعيف من التفسير (الترجيح بين أقوال العلماء) (١).

أهمية القرآن الكريم في تربية البشرية:

القرءان الكريم يوجّه الفرد المسلم إلى طريق الحق القويم في علاقته مع الله جل جلاله وعلاقته مع نفسه وأهله، وعلاقته مع الناس، وإلى السنن الثابتة التي تستقيم بها الحياة على الأرض، فقد تضمّن تعريفًا للإنسان بذاته، وكشف عن تكريم الله تعالى له، والغاية من وجوده والتي تتمثّل بالعبادة وعمارة الأرض فقد استخلفه الله فيها، كما بيَّنتْ آياته طريق

---

[1]- ينظر: مناهل العرفان، الزرقاني (١/١٩٥). المكي والمدني، محمد شفاعت رباني (ص: ٤، الشاملة).

الحق وطريق الضلال مع مصير كلٍ منهما فهو زاخرٌ بالمواعظ والقصص التي يتعلّم الإنسان من خلالها أخطاء غيره ويتجاوزها.

أنزله الله تعالى منهجًا متكاملًا لهداية البشرية وإصلاح حياة الفرد والجماعة في جميع مناحي الحياة، تكمن أهميته فيما اشتمل عليه من هداية البشر إلى العقائد الصحيحة، والأخلاق الكريمة، والتشريعات العادلة التي يحتاج إليها الإنسان، وما اشتمل عليه من تعاليم بناء المجتمع الفاضل، وتنظيم الدولة القوية، فهو حبل الله المتين الذي أمرنا الله – سبحانه وتعالى – بالاعتصام به، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولقد وعد الله عز وجل عباده المؤمنين الذين يجتنبون نواهيه ويعتصمون بكتابه ويلتزمون بطاعة ما فيه من أوامر وتوجيهات إلهية حكيمة بأنهم يجدون ما يحتاجون إليه من حياة روحية طاهرة، وقوة سياسية وحربية، وثروة وحضارة، ونعم لا تعدّ ولا تحصى، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ووعدهم – إن هم ءامنوا به وعملوا بما جاء فيه وطبّقوا تشريعاته – بالاستخلاف في الأرض والتمكين فيها والطمأنينة، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا

يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

من صفات القرآن الكريم:

أنزل الله سبحانه القرءان الكريم على نبيه الأمين – صلى الله عليه وسلم – رحمة للعالمين، وأمرنا بتلاوته واتباعه، قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل: ٤]، ويسر لنا ذكره وتدبّره، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: ١٧]، ولقد وصفه الله – عز وجل – في كتابه بالهادي الذي يهتدى به الناس إلى الطريق القويم، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩]. وهو الروح التي لا تحصل حياة البشرية ولا تنعم إلا به والعيش تحت ظلاله، قال جلّ وعلا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢]. وهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١– ٤٢]. وهو النور الذي يخرج الناس بسببه من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط الله المستقيم، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ

رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]. وهو الشافي بما فيه من الأحكام والأوامر والنواهي والمواعظ الذي يشفي الصدور المؤمنة به، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس: ٥٧].

العلم الذي فيه والذي لا يستغني عنه أي طالب للحقيقة المطلقة من رب العالمين جلّ في علاه، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الرعد: ٣٧].

من صفاته التي امتاز بها القرآن عن غيره من الكُتُب، انه هو الفرقان الذي يفرق به الله جل جلاله بين الحق والباطل ليكون للعالمين نذيرًا ، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان: ١].

كما أنه من أهم صفاته الأساسية أنه الحكيم الذي أحكمت آياته بالأوامر والنواهي والثواب والعقاب، الحكيم المجيد المُحكم من الحكيم الخبير قال تعالى: ﴿ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [يس: ٢]. المجيد الذي ليس كسجع الكُهّان ولا شِعر الشُّعراء، قال تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البروج: ٢٢- ٢٣].

فضل تلاوة القرءان الكريم:

الله – سبحانه وتعالى – عظّم القرآن الكريم، ورفع مكانته، وأعْلى منزلته، وأقسم به في كثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ ﴾ [الزخرف: ١–٤]، وأعطى له المكانة العظيمة الّلائقة به، وجعل له أحكامًا خاصة بالتعامل معه بيانًا لفضله، قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨١ ﴾ [الواقعة: ٧٥–٨١]، ولمكانته القيّمة العظيمة في عبادة المسلم أنّ الصلاة لا تصحّ إلّا به، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (لَا صَلَاةَ لِمَن لَمْ يَقْرَأْ بفَاتِحَةِ الكِتَابِ) [البخاري: ٤٨].

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٢١]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ۝٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٥٤ ﴾ [القصص: ٥٢–٥٤]. وقال جلّ في عُلاه عن فضل القارئين للقرآن والتَّالِينَ له والعاملين به، وما لَهُم من النعيم المقيم في الجنة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٣].

وبيّن الله أن القرآن الكريم هو أحسن الحديث الذي يهدي به الله من يشاء من عباده الذين يخشون ربهم، ومن ثمّ تقْشعِرُّ جلودهم، وتلين قلوبهم له، كيف لا وهو من عند الله – سبحانه وتعالى – ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٣].

قبسٌ من السُّنة عن القرآن:

قال – صلى الله عليه وسلم – عن قارئ القرآن والكرامة التي يحوزها: (مَثَلُ المُؤْمِنِ الذي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها طَيِّبٌ، ومَثَلُ المُؤْمِنِ الذي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لا رِيحَ لها وطَعْمُها حُلْوٌ، ومَثَلُ المُنافِقِ الذي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحانَةِ، رِيحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها مُرٌّ، ومَثَلُ المُنافِقِ الذي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، ليسَ لها رِيحٌ وطَعْمُها مُرٌّ) [رواه البخاري].

وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا عن أجر القوم الذين يجتمعون على قراءته ودراسته: (ما اجتَمَعَ قَومٌ في بَيتٍ مِن بُيوتِ اللهِ تَعالى يَتلونَ كِتابَ اللهِ وَيَتَدارسونَه بَينَهم، إلَّا نَزَلتْ عليهِمُ السَّكينةُ، وغَشِيَتهمُ الرَّحمةُ، وحَفَّتهمُ المَلائكةُ، وذكَرَهمُ اللهُ فيمَن عندَه) [رواه مسلم].

أمّا عن إكرام الله لقارئ القرآن في الآخرة فإنّ القرآن يرفع درجة صاحبه في الجنة بعدد آياته، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (يُقالُ لصاحِبِ القرآنِ اقرأ وارتَقِ ورتِّل كما كنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا فإنَّ منزلَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها" [رواه أبو داود].

كما بيّن – صلى الله عليه وسلم – مَكان ومكَانَة الماهر بالقرآن، وحتى غير الماهر به ولكنه يحاول ويجاهد نفسه في قراءته. فقال: (الْماهِرُ بالقُرْآنِ مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، والذي يَقْرَأُ القُرْآنَ ويَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وهو عليه شاقٌّ، له أجْرانِ) [رواه مسلم].

كما بين عِظم أجر قارئه وله بكل حرف عشر حسنات، فقال – صلى الله عليه وسلم – (منْ قرأَ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها لا أقولُ: آلم حرفٌ، ولكنْ ألِفٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ) [رواه الترمذي].

وبسبب القرآن تكون الرِّفعة لأقوام تَمَسَّكُوا به وعَمِلوا به، أما الذين هَجَرُوه ووضعوه جانبًا ولم يعملوا به فيكون هذا سببًا في تأخرهم في الآخرة. قال – صلى الله عليه وسلم – (إنَّ اللهَ تعالى يَرفَعُ بهذا الكِتابِ أَقوامًا، ويَضَعُ بِه آخَرينَ" [رواه مسلم].

وبين الحديث الشريف بأَنّ الحَسَد المَحْمُود والغِبْطَة المطلوبة، والتنافس الشريف إنما يكون في حالتين اثنتين. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (لا حسدَ إلا في اثنتَينِ: رجلٌ علَّمه اللهُ القرآنَ فهو يَتلوه آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ فسمِعه جارٌ له فقال: ليتَني أوتيتُ مِثلَ ما أوتيَ فلانٌ فعمِلتُ مِثلَ ما يَعمَلُ ورجلٌ آتاه اللهُ مالًا فهو يُهلِكُه في الحقِّ فقال رجلٌ: ليتَني أوتيتُ مِثلَ ما أوتيَ فلانٌ فعمِلتَ مِثلَ ما يَعمَلُ) [رواه البخاري].

وقال الإمام الشاطبي عن فضل القرآن على قارئه ووالديه:

وَبَعْدُ فَحَبْلُ اللهِ فِينَا كِتَابُهُ.. فَجَاهِدْ بِهِ حِبْلَ الْعِدَا مُتَحَبِّلاَ

وَأَخْلقْ بهِ إذْ لَيْسَ يَخْلُقُ جِدَّةً.. جَدِيدًا مُوَاليـهِ عَلَى الْجِدِّ مُقْبِلاَ

وَقَارِئُــهُ الْمَرْضِـيُّ قَـرَّ مِثَالُـهُ.. كَالاتْرُجّ حَالَيْـهِ مُرِيحًا وَمُوكَلاَ

هُوَ الْمُرْتَضى أَمًّا إِذَا كَانَ أُمَّهً.. وَيَمَّمَـهُ ظِــلُّ الرَّزَانَــةِ قَنْقَـلاَ

هُوَ الْحُرُّ إِنْ كانَ الحرِيّ حَوَارِيًا.. لَـهُ بِتَحَـرّيهِ إِلَـى أَنْ تَنَبَّـلاَ

وَإِنَّ كِتَـابَ اللهِ أَوْثَـقُ شَـــافِعٍ.. وَأَغْنى غَنَـاءً وَاهِبـًا مُتَفَضِّلاَ

وَخَيْرُ جَلِيـسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيـثُهُ.. وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيــهِ تَجَمُّـــلَا

وَحَيْثُ الْفَتى يَرْتَاعُ في ظُلُمَـاتِهِ.. مِـنَ ٱلقَبـرِ يَلْقَـاهُ سَنًا مُتَهَلِّلَا

هُنَالِكَ يَهْنِيــهِ مَقِيلًا وَرَوْضَـةً.. وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزّ يجتُلَى

يُنَاشِدُه فـــي إِرْضَائِهِ لحبِيبِهِ.. وَأَجْـدِرْ بِـهِ سُؤْلًا إِلَيْهِ مُوَصَّلاَ

فَيَا أَيُّهَا الْقَارِى بِــهِ مُتَمَسِّكًا.. مُجِلًا لَــهُ فِـي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلا

هَنِيئـًا مَرِيئـًا وَالِـدَاكَ عَلَيْهِما.. مَلاَبِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالحُلاْ

فَما ظَنُّكُـمْ بالنَّجْلِ عِنْـدَ جَزَائِهِ.. أُولئِكَ أَهْلُ اللهِ والصَّفَوَةُ المَلاَ

من آداب تلاوة القرءان الكريم:

– طهارة البدن والمكان، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩].

– الإخلاص لله وحده، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ [البينة: ٥].

– الاستعاذة بالله من الشيطان عند البدء في القراءة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل: ٩٨].

– من الآداب المُهِمَّة عند قراءته. تحسين الصوت به وتطبيق أحكام التلاوة الخاصة به ما أمكن مع مجاهدة النفس في تَعَلُّم أحكامه، قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل: ٤].

– كذلك الاهتمام بحضور القلب عند قراءته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧].

– الاجتهاد في تدبر معانيه والوقوف مع أوامره ونواهيه، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩].

– تعظيمه وخشوع القلب عند تلاوته والتفكر في الآيات التي يقرأها القارئ، قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر: ٢١].

– السكينة والبكاء والتباكي عند قراءته فهذا حال أهل العلم، قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

- أما المستمع للقرآن فينبغي عليه الإصغاء للقارئ والإنصات له، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

مراتب التلاوة وتجويد القرآن:

التجويد: التجويد لغةً: التحسين.

واصطلاحًا: هو الإتيان بالقراءة مُجوّدة الألفاظ بعيدة عن الرداءة في النطق، مع تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحا يمتاز به عن الحرف المقارب له، وتوفية كل حرفٍ صفتَهُ المعروفة بِه تَوْفِيةً تُخرِجُه عن الحرف المُجانِسِ له(١).

مراتب تلاوة القرءان الكريم هي:

١ - **التحقيق:** لغةً: هو التدقيق والتأكد.

واصطلاحًا: قراءة القرءان بِتُؤَدَة واطمئنان وبُطْءٍ مع مراعاة جميع أحكام التجويد في القراءة من غير إفراط. وقد عَرَّفه إمام القُرَّاء ابن الجزري بأنه: إعطاء كل حرف حقَّه من إشباع المد، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف، وإخراج بعضها من بعض بالسَّكت والترسل واليُسْر والتؤدة، ومراعاة الوقوف.

قال رحمه الله "كلام الله تعالى يقرأ بالتحقيق وبالحدر وبالتدوير الذي هو التوسط بين الحالتين، مرتلا مجودا بلحون العرب وأصولها، وتحسين اللفظ والصوت بحسب الاستطاعة.

أما التحقيق فمعناه: المبالغة في الإتيان بالشيء على حقه إلى نهاية شأنه، وعند القُرّاء هو عبارة عن: إعطاء كل حرف حقه: من إشباع المد، وتحقيق الهمز، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار، والتشديدات، وتَوفِيَة الغُنّات، وتفكيك الحروف اتمامها مع اتمام حركاتها وبيانها، وإخراج بعضها من بعض بالترتيل والتّؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف، ولا يكون

---

(١) - ينظر: الموسوعة القرآنية (٥/٢٦).

معه غالبا قَصْرٌ في أزمنة الوقف والحرف، ولا اختلاس، ولا إسكانُ متحرك، ولا إدغام مُظهَر، فالتحقيق يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ وإقامة القراءة بغاية الترتيل، وهو الذي يستحسن ويستحب الأخذ به على المتعلمين، من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط من تحريك السواكن، وتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الراءات، وتطنين النونات في الغُنَّات، كما قيل لمن يبالغ في ذلك: أمَا عَلِمْتَ أن ما كان فوق البياض فهو بَرَص؟! وما كان فوق القراءة فليس بقراءة؟!"(١).

فائدة: يقرأ بالتحقيق في مجالس التعليم غالبًا.

٢- **الحَدْر**: لغةً: هو السرعة.

واصطلاحًا: هو إدراج القراءة وسُرعتها وتخفيفها مع مراعاة أحكام التجويد في القراءة من غير إفراط. ولقد عَرَّفه إمام القُرَّاء ابن الجزري بأنه: إدراج القراءة وسرعتها، وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمز ونحو ذلك مما صَحَّت به الرواية ووردت به القراءة، مع إيثار الوصل وإقامة الإعراب، ومراعاة تقويم اللفظ وتمكن الحروف.

فائدة: يُقرأ بالحَدْر في صلاة النوافل والتراويح غالبًا.

٣- **التدوير**: لغةً: هو جعل الشيء على شكل دائرة.

واصطلاحًا: هو قراءة القرآن بصفة متوسطة بين التحقيق والحدر مع مراعاة أحكام التجويد في القراءة من غير إفراط.

فائدة: يقرأ بالتدوير في صلاة الفرائض غالبًا.

٤- **الترتيل:** أما الترتيل فالبعض جعله مرتبة مستقلة، والبعض جعله مرتبة بدل التحقيق، والبعض قال بأنه ليس مرتبة مستقلة بل يعم المراتب الثلاثة فقد سئل عليّ رضي الله عنه

---

[١]- ينظر: شرح طيبة النشر للنويري (٢٤٦/١).

عن معنى قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ٤]، فقال: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف، وعن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ الله تعالى يحبّ أن يقرأ القرآن كما أنزل" أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه. وقال ابن عباس فى قوله تعالى: وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا: [بيّنه]، وقال ابن مجاهد: تأنّ فيه، وقال الضحاك: انْبِذهُ (اقْرَأْهُ بتمهُّل) حَرفًا حَرفًا ، وتثبت في قراءته وتمهّل فيها وافصل الحرف من الحرف الذي بعده والذي قبله. ولم يقتصر – سبحانه – على الأمر بالفعل (ورَتّل) بل أكَّدَه بالمصدر (ترتيلا) اهتماما به وتعظيما له؛ ليكون ذلك عونا على تدبر القرآن وتفهمه. ولا غِنى لقارئ القرآن عن هذا مهما كانت سُرعة التلاوة وهذا هو القول الراجح (١).

ما ينبغي على قارئ القرآن أن يعلمه:

يجب على من أراد أن يقرأ القرآن قراءة صحيحة أن يتعلم أحكام التلاوة ليؤديها على الوجه المُقَارِب لما قرأ به الرسول – صلى الله عليه وسلم – والاجتهاد في هذا، كمخارج الحروف وصفاتها ليحسن التلفظ بلغة العرب التي نزل بها القرءان الكريم، وأن يتعلم ما يحسن الوقف عليه والابتداء به، ويتعلم رسم المصاحف العثمانية لأنها أحد أركان القراءة الصحيحة من مقطوع وموصول وتاء تأنيث وكيفية رسمها في المصحف بالرواية التي يقرأ بها القارئ.

قال الإمام ابن الجزري في المقدمة الجزرية مُلَخّصًا ما يجب على القارئ أن يتعلّمه وما ينبغي عليه عند قراءة القرآن الكريم:

(وَبَعْـدُ) إنَّ هَـذِهِ مُقَدِّمَـــهْ ... فِيــمَا عَلَـى قَارِئـِهِ أَنْ يَعْلَمَـهْ

إذْ وَاجِـبٌ عَلَيْـهِـمُ مُحَتَّـمُ ... قَبْـلَ الشُّـرُوعِ أَوَّلًا أَنْ يَعْلَمُوا

مَخَارِجَ الْحُرُوفِ وَالصِّفَاتِ... لِيَلْفِـظُـوا بِأَفْصَـحِ اللُّغَـــاتِ

[١]- ينظر: الموسوعة القرآنية (٢٦/٥). شرح طيبة النشر للنويري (٢٥١/١).

مُـحَرِّرِي التَّجْوِيدِ وَالمَوَاقِـفِ... وَمَا الَّذِي رُسِّمَ فِي المَصَاحِفِ (١).

أساليب القراءة غير الجائزة:

لابد من الالتزام بأحكام التلاوة عند قراءة القرءان دون إفراط وتساهُل أو تَكَلُّف ومبالغة، وقد نبه العلماء على ما ابتدعه الناس في قراءة القرءان بنَغَمٍ شَجِيّ يتردد فيه الصوت تردد الوقع الموسيقي والعزف على آلات الطرب، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١. التمطيط: تمويج الصوت أثناء القراءة، وخاصة في المد وذلك برفع الصوت ثم خفضه بشكل متكرر في المد الواحد.
٢. الترقيص: أن يروم السكوت على الساكن ثم ينقر مع الحركة كأنه في عدْو أو هرولة، كأن يأتي القارئ بالحرف الواحد أكثر من مرات، مثل أن يقرأ كلمة (نستعين) قراءة خاطئة هكذا: نستعيييييننن.
٣. التطريب: ملامسة قراءة القارئ لطبوع الموسيقى والطرب بأي وجه من المقامات غير الخاصة بلحون العرب وأصواتها، مما يجعل السامع إذا سمِع القارئ يحسب كأنه يُغنّي لا يقرأ كتاب الله.
٤. التحزين: أن يقرأ القارئ بهيئة حزينة اصطناعًا وتصنُّعًا منه ليوهم السامع أنه يبكي من الخشوع، بخلاف ما إذا قرأ القارئ بطبيعته بالتباكي أو البكاء بدون تصنّع.
٥. الترعيد: أن يجعل القارئ صوته يرتعد وذلك باهتزاز أحباله الصوتية مما يجعل الحرف يطول أكثر مما يجب.
٦. التحريف: أن يجتمع أكثر من قارئ ويقرؤون بصوت واحد فيقطع بعضهم القراءة بأن يأتي ببعض الكلمة ويأتي الباقون ببعضها الآخر.
٧. الهذرمة: سرعة القراءة بشكل يفقد القراءة فهم حروفها وكلماتها من شِدّة سُّرعة القارئ. (٢).

فائدة:

[١]– ينظر: الجزرية، ابن الجزري (ص: ٨)، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

[٢]– معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي (ص: ٩٢). دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

ولا شك أن كل هذا يحتاج إلى مشافهة وسماع من قارئٍ مُتقنٍ مُجَوّدٍ لكتاب الله، والأفضل أن يكون هذا القارئ المُقرئ مجازًا بالسند المتصل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع اتقانه للتجويد رواية ودراية، حتى يستطيع أن يوصل المعلومة الصحيحة للطالب المتَلَقّي عنه ما تلقاه من العلوم الخاصة بالقرآن من تجويد أو قراءات قرآنية بلا لَبس ولا غموض.

قال الشيخ أبو مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني البغدادي المتوفى سنة ٣٢٥هـ.

أَيَا قَـارِئَ القُـرْآنِ أَحْسِـنْ أَدَاءَهُ ** يُضَاعِفْ لَكَ اللهُ الجَزِيلَ مِنَ الأَجْرِ

فَمَا كُلُّ مَنْ يَتْلُو الكِتَابَ يُقِيمُـهُ ** وَلا كُلُّ مَنْ في النَّاسِ يُقْرِئُهُمْ مُقْرِي

وإِنَّ لَنَا أَخْـــذَ القِـرَاءَةِ سُنَّـةً ** عَنْ الأَوَّلِينَ المُقْرِئِيـنَ ذَوِى السِتّْرِ

فَلِلسَّبْعَـةِ القُرْاءِ حَقٌّ عَلَى الوَرَى ** لإِقْرَائِهِـمْ قُـرْآنَ رَبِّهُـمُ لِلْوِتْـرِ (١).

مصطلحات في علم القراءات:

والآن وبعد هذه التَّطوافة السّريعة حول ما ينبغي لطالب علم التجويد والقراءات أن يكون مُلِمًّا به، ولابد أن يكون على دراية وعلم به، وهذا أقلّ ما يجب عليه معرفته.

فائدة في مبادئ علم القراءات:

تعريف علم القراءات: هو علم يعرف به كيفية النُّطق بالكلمات القرآنية، وطُرُق أدائها اتفاقا واختلافا مع عَزْو كل وَجهٍ لناقله من القُرّاء أو الرواة.

موضوعه: الكلمات القرآنية من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها.

ثمرة علم القراءات وفائدته: العِصمَة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية، وصيانتها عن التحريف والتغيير في الكلمات القرآنية، والعلم بما يقرأ به كل من أئمة القراءة، والتمييز بين ما يقرأ به ومالا يقرأ به.

---

(١)– ينظر: المنظومة الخاقانية، لأبي مزاحم الخاقاني.

فضل علم القراءات: أنه من أشرف العلوم الشرعية، أو هو أشرفها لشدة تعلقه بأشرف كتاب وهو القرآن الكريم كلام الله تعالى.

واضعه: أئمة القراءة، وقيل أبو عُمَر حفص بن عُمَر الدوري (راوي كل من القارئ أبو عمرو البصري، والكسائيّ). وقيل: أول من دون فيه أبو عبيد القاسم بن سلام.

اسمه: علم القراءات، جمع قراءة بمعنى الوجه المقروء به عند مَن قرأ به.

استمداده: من النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

حكمه: الوجوب الكفائي تَعَلُّمًا وتَعليمًا.

مسائل علم القراءات: قواعده الكلية كقولهم: كل ألف منقلبة عن ياء يميلها حمزة والكسائي وخلف، ويقللها ورش بخلف عنه – وكل راء مفتوحة أو مضمومة وقعت بعد كسرة أصلية أو ياء ساكنة يرققها ورش، وهكذا(١).

علم توجيه القراءات: علم يبحث عن القراءات من جوانبها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والبلاغية، والدلالية).

– **وله أسماء:** منها: الاحتجاج، حُجَج – أو حجة– القراءات، علل القراءات، علم القراءات دراية، فقه القراءات.

والآن نحاول أن نتكلم عن أبرز المصطلحات الواجب معرفتها وتَعَلُّمها لطالب علم القراءات وهي كما يلي:

علم القراءات: هو علم بكيفية أداء الكلمات القرآنية واختلافها معزوًا لناقله.

---

[١]– ينظر: منجد المقرئين، ابن الجزري (ص:٩). البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ) (ص: ٧). الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

سلسلة السند: هي سلسة الرجال الذين نقلوا لنا القرءان العظيم مشافهةً، كلَ واحدٍ منهم قرأ على شيخهِ، وشيخُهُ على شيخِهِ، وهكذا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن أمين الوحي جبريل – عليه السلام –، عن رب العزة – جل جلاله–. (١).

مثال توضيحي لسلسلة الإسناد الخاصة بي:

سلسلة الإسناد الخاصة بي برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية.

رب العزة جل جلاله وتقدست أسماؤه جبريل عليه السلام..

النبي صلى الله عليه وسلم.

١ – زيد بن ثابت ﵁ **أبي بن كعب**﵁ **عليّ بن أبي طالب** ﵁ **عبد الله بن مسعود** ﵁ **عثمان بن عفان** ﵁

٢ – أبوعبد الرحمن عبدالله بن حبيب السُّلَميّ.. أبو مريم زر بن حبيش.

٣– صاحب القراءة أبوبكر عاصم بن أبي النجود الكوفي.

٤– صاحب الرواية أبو عمر حفص بن سليمان الكوفي.

٥– طريق الرواية أبو محمد عُبيد بن الصَّبَّاح.

٦– أبو العبَّاس أحمد بن سهل الأشنانيّ.

٧– أبو الحسن عليّ الهاشميّ الضرير.

٨– أبو الحسن طاهر بن غلبون المقرئ.

٩– أبوعمرو عثمان بن سعيد الدانيّ.

١٠– أبو داود سُليمان بن نجاح الأمويّ.

١١– أبو الحسن عليّ بن هذيل البلنسيّ.

---

[١]– ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة (٣٣٦/١).

١٢- أبو القاسم ابن فِيُرُّه الشَّاطِبيّ الأندلسيّ.

١٣- عليّ بن شُجاع صِهر الشّاطبيّ

١٤- محمد بن أحمد بن عبد الخالق الصائغ.

١٥- أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد البغداديّ.

١٦- أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزريّ.

١٧- أحمد بن أسد بن عبد الواحد الأميوطيّ.

١٨- محمد بن إبراهيم السُّمَديسي.

١٩- علي بن محمد بن غانم المقدسيّ.

٢٠- عبد الرحمن بن شحاذة اليَمَنِيّ.

٢١- أبو الإكرام محمد بن قاسم البقريّ.

٢٢- أبو السماح أحمد بن رجب البقريّ.

٢٣- أبو اللطائف عبدالرحمن الأجهوريّ.

٢٤- إبراهيم بن بدوي العُبَيديّ.

٢٥- علي الحدادي الأزهريّ.

٢٦- عبدالله عبدالعظيم الدسوقيّ.

٢٧- الفاضلي علي أبو ليلة الدُّسوقيّ.

٢٨- مصباح بن إبراهيم الدسوقيّ.

٢٩- عبد الجواد بن أحمد عبد المولى آل موسى السُّيوطيّ.

٣٠-

ملاحظة: وقد قرأت كذلك بالقراءات العشر أو ببعض الروايات على جمع كبير من المشايخ الأجلاء، منهم.

محمود زرينة، بهاء رصد، علاء بعرور، هاني بركات، عبدالباسط هاشم، عبدالفتاح مدكور، سعيد زعيمة، عبدالرازق البكري، نادي القط، علي البهنساوي، د. نجم الدين زكريا الجماجموني. رفعت البسطويسي، كفافي توفيق، السالم الجكني، توفيق ضمرة، عبدالفتاح المقالدي، محمد متولي حسن سالم، جعفر أحمد السيد إسماعيل، تناظر النجولي، سميعة البناسي، وقد اكتفيت بذكر أعلاهم سندًا الشيخ مصباح الدسوقيّ.

فالقراءة: هي مذهب من مذاهب النطق بالقرآن الكريم؛ يختاره إمام من الأئمة مذهبًا بناءً على ضوابط غاية في الدّقة والإحكام، وليس اختيارًا عشوائيًا، هذا الاختيار يكون في كيفية قراءة اللفظ القرآني كما تَلَقّاه مشافهة عن شيخه بسنده المتصل بالرسول – صلى الله عليه وسلم – نحو: قراءة الإمام عاصم، وقراءة الإمام نافع، إلى آخر القُرّاء العَشرة.

أمّا عن مذهب النطق بالكلمة القرآنية فله مسميات هي:

الرواية: هي ما نُسب إلى أحد الرواة عن أحد القُرّاء العشرة في كيفية أدائه لِلَّفظ القرآني كما تلقاه مشافهة بسنده المتصل بالرسول – صلى الله عليه وسلم – نحو: رواية حفص عن عاصم، ورواية ورش عن نافع، وغيرهم من الرُّواة.

الطريق: هو كل ما نسب للناقل عن أحد الرواة وإن نزل (أي لا يشترط أن يكون قد قرأ على الراوي مباشرة) نحو: رواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية نسبة إلى الإمام الشاطبي(١).

والوجه: هو ما نُسب إلى تَخيّر القارئ من القراءة بحرف ما، يَثبُت عليها القارئ وتؤخذ عنه حتى تُعرف به وتُنسب إليه.

[1]– ينظر: دراسات في علوم القرآن – فهد الرومي (ص: ٣١٤).

والوجه: ينقسم إلى: **وجه الرواية:** وهو المنقول عن الشيخ بسنده المتصل بالرسول – صلى الله عليه وسلم –، وهو وجه إلزام نحو فتح وضم الضاد في كلمة **(ضعف)** في قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ ضَعۡفًا وَشَيۡبَةً ﴾ [الروم: ٥٤] برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية، **ووجه الدراية:** القياس العلمي المبني على اجتهاد العلماء أو الكيفية المختلفة التي يجوز للقارئ أن يقرأ بواحدة منها دون إلزامه القراءة بكيفية معينة نحو أوجه مد العارض للسكون، مدّ اللّين.

قال السيوطي: "الخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الروايات والطُّرق عنه، فهو قراءة، وإن كان للراوي عنه، فهي رواية، أو لمن بعده فنازلًا فيُسمّى طريق، أو لأعلى هذه الصفة مما هو راجع إلى تخير القارئ فيه، فهو المُسَمّى وجه"(١).

القراءات المتواترة: هي كل قراءة وافقت العربية، ووافقت رَسْم أحد المصاحف العثمانية، وتواتر نقلها جمعًا عن جمع بالسند المتصل برسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

الشاطبية: هي منظومة للإمام الشاطبي اسمها (حرز الأماني ووجه التهاني) اشتهرت بـ (الشاطبية) نسبة لناظمها القاسم بن فِيرُّه، ومعناه بلغة الأندلس: الحديد – ابن خلف بن أحمد الرُّعيني، الضرير، ولد في آخر سنة ٥٣٨هـ، بشاطبة من بلاد الأندلس؛ نظم فيها الإمام الشاطبي سبع قراءات وهي للأئمة: نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي. (وسيأتي لاحقًا ترجمة لكلٍ).

الدُّرَّة: هي منظومة للإمام ابن الجزري نظم فيها ثلاث قراءات للأئمة: أبي جعفر، ويعقوب، وخلف البزّار، جاءت تكملة لمتن الشاطبية بحيث تصبح الشاطبية مع الدرة جامعتين للقراءات العشر الصُّغرَى.

---

[١]– ينظر: الإتقان، للسيوطي (٢٥٦/١). دراسات في علوم القرآن – فهد الرومي (ص: ٣١٤).

الطَّيِّبة: هي منظومة للإمام ابن الجزري (ناظم الدُّرة في القراءات الثلاث) نظم فيها القراءات العشر، ولكنه لم يكتف بالطرق الموجودة في الشاطبية والدرة بل زاد عليها طرقًا أخرى كثيرة.

القراءات العشر أو القُرّاء العشرة: هي قراءات الأئمة: نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبي جعفر، ويعقوب، وخلف.

العَشْر الصُّغرَى: هي القراءات العَشْر من طريق الشاطبية والدرة.

العَشْر الكُبْرَى: هي القراءات العَشْر من طريق الطّيبة، وسميت الكبرى لأنها مشتملة على ما في الشاطبية والدرة، وزادت عليها طُرُقًا أخرى كثيرة وصلت نحواً من أَلْف طريق.

القراءات الشاذة: هي القراءات التي فَقَدت رُكنًا من أركان القراءة الصحيحة، وأشهرها أربع قراءات للأئمة: ابن مُحيْصِن، والحَسن البَصْري، ويَحيَى اليزيدي، وسليمان بن مهران الأَعْمَش.

فائدة في حكم القراءات القرآنية:

وقد لَخَّصَ الشيخ العلّامة عبد الفتاح القاضي الحُكم الشرعي في القراءات الشاذة أنه لا تجوز القراءة بها في الصلاة ولا يجوز تّعَبُد الله بها مطلقًا، لكن يجوز تَعَلُّمها وتَعْلِيمها، وكذا تدوينها في الكتب، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى واستنباط الأحكام الشرعية منها على القول بصحة الاحتجاج بها، والاستدلال بها على وجه من وجوه اللغة العربية، وفتاوى العلماء قديمًا وحديثًا مطبقة على ذلك. (١).

وعلى هذا فالقراءات قسمان: إمّا مقبولة (متواترة) أو مردودة.

أ- **المقبولة:** هي التي تتوفر فيها شروط التواتر الثلاثة:

١- أن تكون متواترة متصلة السند إلى النبيّ – صلى الله عليه وسلم –.

---

[١]- ينظر: دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي (ص: ٣٣١). القراءات الشاذة وتوجيهها، عبد الفتاح القاضي، (ص١٠).

٢- أن توافق اللغة العربية ولو بوجه.

٣- أن توافق رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا.

وهذا القسم هو الذي قال فيه العلماء:

١- يجب على كل مسلم اعتقاد قرآنيته.

٢- يُقرأ به تَعَبُّدًا في الصلوات وخارجها.

٣- يُكفر مَن يجْحَد حرف منه.

٤- يحصُل الأجر والثواب الوارد في السُّنة النبوية لمن يقرأ به.

وهذا ما يقال في القرآن كذلك.

ب – القراءات المردودة: وهي التي اختل فيها شرط من الشروط الثلاثة لقبولها، وهي التي يطلق عليها علماء القراءات بالشاذة، وقد قال العلماء فيها:

١- لا يجوز اعتقاد قرآنيتها.

٢- لا تجوز القراءة بها تعبدًا لا في الصلوات ولا في غيرها.

٣- يجب تعزير من أَصَرَّ على قراءتها تَعبُّدًا وإقراءً(١).

الأصول: هي القواعد الكلية المطردة نحو حكم ميم الجمع، والفتح والإمالة، وأحكام المدود. أو هي ما كَثُرَ دورانه من حروف القرآن الكريم وكلماته، بحيث تُكَوّن قواعد عامة يندرج تحتها جزئيات كثيرة، ومن ثمّ تعم أحكامها وتطرد في القرآن الكريم كله(٢).

الفروش: هي الأحكام الخاصة ببعض الكلمات القرآنية كإثبات أو حذف الألف في مالك يوم الدين. أو هو ما قلّ دورانه من حروف القرآن الكريم المختلف في طريقة أدائها بين القُرّاء، فَنَصّ على مواضعها دون تعميم حكمها.

---

[١]- ينظر: دراسات في علوم القرآن، الرومي (ص:٣٣١)، صفحات في علوم القراءات، السّندي (ص:١٩).

[٢]- ينظر: معجم علوم القرآن (ص: ٤٧).

- وسُمّيت فَرشًا لكونها منثورة مفروشة في سور القرآن، فهي أحكام جزئية لا كلية(١).

التحريرات: هي علم يُعْنَى بِعَزْو أَوْجُه طُرق القراءات المُختَلف فيها إلى مَن رواها من أصحاب الطُّرق وأمهات مصادر القراءات، ويهتم بتمييز الطرق وتنقيحها وبيان الجائز منها والممنوع وما يترتب عليها من الأوجه.

وقيل: هي التدقيق في القراءات المروية وتقويمها، وتمييز كل رواية على حدة، وتتبع أوهام العلماء القُرَّاء في كتبهم ومنظوماتهم.

فتحرير الشاطبية أو الطيبة أو الدرة مثلا، إنما يكون بتفصيل ما أجملته تلك المنظومات وتقييد مطلقها أو التنبيه على الأوجه الضعيفة أو الخارجة عن الطرق التي ألزم المؤلف نفسه بها. فالتحريرات في حقيقتها تنقيحات وزيادات وتجلية للروايات كل على حدة(٢).

علم توجيه القراءات: هو علم يبحث عن القراءات من جوانبها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والبلاغية، والدلالية).

- ولعلم التوجيه أسماء: منها: الاحتجاج، حجج- أو حجة- القراءات، علل القراءات، علم القراءات دراية، فقه القراءات(٣).

جَمْعُ القراءات القُرآنية:

كانت عادة القراء في قراءتهم وإقرائهم إفراد القراءات والروايات، واستمر هذا إلى القرن الخامس الهجري القرن الذي ظهر فيه الإمام الكبير أبو عمرو الداني.

وقال الإمام ابن الجزري "لم يَتَعرّض أحد من أئمة القراءة في تواليفهم لهذا الباب، وهو باب عظيم الفائدة، كثير النفع، جليل الخطر. والسبب الموجب لعدم تعرض المتقدمين إليه هو

---

[١]- ينظر: معجم علوم القرآن (ص: ٢٠٤).

[٢]- ينظر: مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات (ص: ٤٢). مقدمات في علم القراءات (ص: ١٩٥).

[٣]- ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة (٣٣٦/١).

عظم هممهم، وكثرة حرصهم، ومبالغتهم في الإكثار من هذا العلم واستيعاب رواياته، وقد كانوا في الحرص والطلب بحيث إنهم يقرءون بالرواية الواحدة على الشيخ الواحد عدة ختمات لا ينتقلون إلى غيرها ولقد قرأ الأستاذ أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني القراءات السبع على شيخه أبي بكر القصري تسعين ختمة كلما ختم ختمة قرأ غيرها حتى أكمل ذلك في مدة عشر سنين(١).

وأخذ الناس بجمع القراءات في ختمة واحدة، ولكنه لم يكن جمعا اعتباطيا كيفما كان، بل إنهم ما كانوا يسمحون لأحد بالجمع إلا إذا كان ماهرًا مُتقِنًا مُفْرِدًا – أي قرأ لكلّ راوٍ ختمة قبل الجمْع– للقراءات والروايات.

ولذا اشترطوا على جامع القراءات شروطا أربعة:

١– رعاية الوقف. أي: لا يكون الوقف غير صحيح، ولا يُفسِد المعنى.

٢– رعاية الابتداء. أي: لا يكون الابتداء بما لا يصح أو يفسد معه المعنى.

٣ – حسن الأداء. مراعاة جودة التلاوة من مخارج وصفات وغُنن وما إلى ذلك من أحكام التجويد الخاصة بكلّ راوٍ أو قارئ.

٤ – عدم تركيب وخلط الروايات والطُّرَق. أي لا يخلط بين قراءة أو رواية وأخرى، أو وَجهٍ وآخر(٢).

مذاهب القُرَّاء في جمع القراءات:

١ – الجمع بالوقف: وكيفيته أنه إذا أخذ القارئ في قراءة من قَدَّمَه– وعادة القراء أنهم يبدؤون فيقدمون قالون ثم ورشا وهكذا.. – لا يزال يقرأ حتى يقف على ما يحسن الابتداء بما بعده ثم يعود إلى القارئ التالي إن لم يكن قد دخل في سابقه. ثم يفعل بكل قارئ حتى

[١]– ينظر: النشر في القراءات العشر (١٩٤/٢).

[٢]– ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزريّ (٢٠١/٢).

ينتهي الخلاف، ثم يبتدئ بما بعد ذلك الوقف. والجمع بالوقف أخذ به الشاميون، وبهذا الجمع قرأ ابن الجزري على عامة شيوخه.

٢- **الجمع بالحرف:** وكيفيته أنه إذا مَرَّ القارئ بكلمة فيها خلاف أعاد تلك الكلمة بمفردها، حتى يستوفي ما فيها من قراءات.

فإن ساغ الوقف على الكلمة التي أتى بِأَوْجُهِهَا وَقَفَ القارئ واسْتَأنف، وإلّا وَصَلَها بآخِرِ وجهٍ أتَى به، حتى ينتهي إلى ما يَحْسُن الوقف عليه.

وإن كان الخلاف يتعلق بكلمتين كمد المنفصل والسكت على ذي كلمتين، وقف على الكلمة الثانية واستأنف الخلاف. وهذا الجمع أخذ به المصريون(١).

وفي هذا يقول ابن الجزري – رحمه الله – في النشر "وللشيوخ في كيفية الأخذ بالجمع مذهبان أحدهما الجمع بالحرف، وهو أن يشرع القارئ في القراءة فإذا مر بكلمة فيها خلف أصولي، أو فرشي أعاد تلك الكلمة بمفردها حتى يستوفي ما فيها من الخلاف فإن كانت مما يسوغ الوقف عليه وقف واستأنف ما بعدها على الحكم المذكور وإلا وصلها بآخر وجه انتهى عليه، حتى ينتهي إلى وَقْفٍ فَيَقِف، وإن كان مما يتعلق بكلمتين كمد منفصل والسكت على ذي كلمتين وقف على الكلمة الثانية واستوعب الخلاف ثم انتقل إلى ما بعدها على ذلك الحكم، وهذا مذهب المصريين، وهو أوثق في استيفاء أوجه الخلاف وأسهل في الأخذ وأحضر للذّهن، ولكنه يخرج عن رونق القراءة وحسن أداء التلاوة.

والمذهب الثاني الجمع بالوقف، وهو إذا شرع القارئ بقراءة من قدمه لا يزال بذلك الوجه حتى ينتهي إلى وقف يسوغ الابتداء مما بعده فيقف ثم يعود إلى القارئ الذي بعده، إن لم يكن دخل خلفه فيما قبله، ولا يزال حتى يقف على الوقف الذي وقف عليه ثم يفعل بقارئ قارئ وراوٍ راوٍ حتى ينتهي الخلف، ويبتدئ بما بعد ذلك الوقف على هذا الحكم. وهذا مذهب الشاميين، وهو أشد في الاستحضار وأشد في الاستظهار وأطول زمانا، وأجود إمكانا وتمَكُّناً

[1]- ينظر: معجم علوم القرآن (ص: ١١٨).

عند القارئ، وبه قرأت على عامة من قرأت عليه بمصر والشام، وبه آخذ ولكني ركبت من المذهبين مذهبا، فجاء في محاسن الجمع طرازا مُذَهَّباً. فابتدئ بالقارئ والراوي وأَنْظُر إلى من يكون من القراء أكثر موافقة له فإذا وصلت إلى كلمتين بين القارئين فيها خِلاف وَقَفْتُ وأَخْرَجْتُه"(١).

٣ – **المذهب الثالث:** وهو مركب من الجمعين السابقين وهو مذهب ابن الجزري في الجمع: وهو إذا ابتدأ القارئ فيبدأ بالقارئ أو الراوي مع من يكون من القراء أكثر موافقة له، فإذا وصل إلى كلمة فيها خلاف بين القراء وأخرجه معه، ثم يكمل حتى ينتهي إلى وقف سائغ، وهكذا حتى ينتهي الخلاف في المقطع الذي يقرأه القارئ. وهذا المذهب في الجمع هو المعمول به بين قراء زماننا هذا في الغالب عند القُرّاء.

٤– **المذهب الرابع جمع التناسب:** وكيفيته أنه إذا ابتدأ القارئ بالقصر يتبعه بالتوسط ثم بالمد وكذا في عكسه، وإن ابتدأ بالفتح في ذات الياء مثلا اتبعه بالإمالة الصغرى ثم الكبرى، وإن ابتدأ بالنقل اتبعه بالتحقيق ثم بالسكت. وَمِمَن قرأ بجمع التناسب ابن الجزري على شيخه ابن اللّبان، لأنه كما قال عنه ابن الجزري: "كان أقوى من لقيت استحضارا، فقد كان – ابن اللّبان– عالما بما أفعل، وهذه الطريق لا تسلك إلا مع من هو بهذه المثابة من العلم، أما ضعيف الاستحضار فينبغي أن يسلك به نوع واحد"(٢).

شروط الجمع:

يقول الإمام ابن الجزريّ "يشترط على جامعي القراءات أربعة شروط لا بد منها، وهي:

١– رعاية الوقف. ٢– رعاية الابتداء. ٣– حسن الأداء. ٤– عدم التركيب.

وأما رعاية الترتيب والتزام تقديم شخص بعينه، أو نحو ذلك فلا يشترط، بل الذين أدركناهم من الأساتذة الحُذَّاق المستحضرين لا يَعُدّون الماهر إلا من لا يلتزم تقديم شخص بعينه

---

[١]– ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزريّ (٢٠١/٢).

[٢]– ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزريّ (٢٠٥/٢). ينظر معجم علوم القرآن (ص: ١١٩).

ولكن من إذا وقف على وجه لقارئ ابتدأ لذلك القارئ فإن ذلك أَبْعَدَ عن التركيب وأَمْلَكَ – أقوى– في الاستحضار والتدريب، وبعضهم كان يراعي في الجمع نوعا آخر، وهو التناسب فكان إذا ابتدأ مثلا بالقَصْرِ أتى بالمرتبة التي فوقه ثم كذلك حتى ينتهي إلى آخر مراتب المد وإن ابتدأ بالمد المشبع أتى بما دونه حتى ينتهي إلى القصر، وإن ابتدأ بالفتح أتى بعده ببين بين – التقليل– الإمالة الصغرى– ثم الإمالة الكبرى، وإن ابتدأ بالنقل أتى بعده بالتحقيق ثم السكت القليل ثم ما فوقه ويراعى ذلك طرداً وعكساً.

أما من كان ضعيفا في الاستحضار فينبغي أن يسلك نوعا واحدا من الترتيب لا يزول عنه ليكون أقرب للخاطر. وأوعى إلى الذهن الحاضر، وكثير من الناس يرى تقديم قالون، أولا كما هو مرتب في هذه الكتب المشهورة. وآخرون يرون تقديم ورش من طريق الأزرق لانفراده في كثير من رواياته عن باقي الرواة بأنواع من الخلاف كالمد والنقل والترقيق والتغليظ وغير ذلك مما اختلف فيه ورش عن القراء(١).

٥ – الجمع الصوتي للقرآن الكريم(٢).

– هو المصحف المرتل المتداول الآن بين المسلمين.

– وهو جمع القرآن الكريم جمعا صوتيا بكل قراءاته المتواترة والمشهورة، بأصوات أبرز قرّاء القرآن المجيدين المتقنين.

– وكان صاحب هذه الفكرة في بدايتها هو الدكتور لبيب السعيد المصري، والذي تقدم بفكرته هذه سنة ١٩٥٩م. إلى مجلس إدارة الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم في مصر، واقترح – رحمه الله – أن يشتمل هذا الجمع الصوتي تلاوة الكتاب العزيز كله برواية حفص ثم بمختلف القراءات المتواترة والمشهورة، على أن لا تُردد –تُقْرَأ – الآية الواحدة بأكثر

[١]– ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

[٢]– ينظر: وأنا هنا أتكلم عنه بإيجاز شديد.

من قراءة واحدة في التلاوة الواحدة، بل يختار وجه واحد في المواضع التي تقرأ بأكثر من وجه في الرواية الواحدة.

– وشُكِّلَت لجان لتطبيق هذه الفكرة، وبدأ تطبيق الفكرة، وندب ثلاثة من أشهر القرّاء والعلماء لبدء التسجيل، فقد ندب الشيخ محمود الحصري لتلاوة رواية حفص عن عاصم، والشيخ مصطفى المَلّواني لتلاوة رواية خلف عن حمزة، والشيخ عبد الفتاح القاضي لتلاوة رواية ابن وردان عن أبي جعفر.

– وفي سنة ١٩٦١م. تم تسجيل المصحف الأول ترتيلاً برواية حفص عن عاصم بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري – رحمه الله – القارئ المتقن المعروف والذي اشتهر على مستوى العالم بفضل الله ثم بإتقانه للتلاوة وحسن الأداء.

– وفي سنة ١٩٦٢م. بُدأ في تسجيل قراءة أبي عمرو البصري برواية الدوري بصوت كل من القرّاء: محمد صديق المنشاوي والبهتيمي وفؤاد العروسي، وقد انتهى من تسجيل هذه الرواية سنة ١٩٦٣م.

– ثم تعثر المشروع إثر بَعْثِ مشيخة الأزهر آنذاك إلى وزير الأوقاف كتابا تطلب فيه منع ما سوى رواية حفص من الروايات، وما سوى صوت الشيخ الحصري من الأصوات، وبعد مداولات وافقت مشيخة الأزهر على استئناف المشروع.

– وتعثر المشروع مرة أخرى ولم يتم تنفيذ المشروع كاملا كما رسم له صاحب الفكرة، وذلك لأسباب عديدة، يراجع في شأنها كتاب صاحب الفكرة «الجمع الصوتي الأول للقرآن» للدكتور لبيب السعيد(١).

أركان القراءة الصحيحة:

أجمع العلماء على أن القراءة لا تعتبر قرآنًا إلا إذا توفرت فيها أركان القراءة الصحية الثلاثة التالية وهي:

[1]– ينظر: معجم علوم القرآن (ص: ١٢٠).

١- أن تكون القراءة متواترة.

٢- أن تكون موافقة للعربية ولو بوجه.

٣- أن تكون موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا.

الركن الأول: أن تكون القراءة متواترة.

والتواتر: هو نقل جماعة عن جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب، من أول السند إلى منتهاه، من غير تعيين في العدد. والتواتر شرط أساسي عند الجمهور لقبول القراءة، ولا يرون الاكتفاء بصحة السند فقط، فثبت بذلك أن ما ليس بمتواتر لا يسمى قرآنًا، ولا يقرأ به تعبدًا.

الركن الثاني: أن تكون موافقة للعربية ولو بوجه موافقة القراءة لوجه من وجوه النحو، سواء كان فصيحًا أم أفصح، مجمعًا عليه أو مختلفًا فيه.

مثاله: قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ ﴾ [البقرة: ٣٧]، فقد قُرئ بنصب ﴿ءَادَمُ﴾ على أنها مفعول به، ورفع ﴿كَلِمَٰت﴾ على أنها فاعلٌ، وعلى هذا الوجه تكونُ الكلماتُ هي التي تلقت آدمَ، وهذا من بلاغةِ القرءان الكريم.

الركن الثالث: أن تكون القراءة موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا. نحو قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾ [الفاتحة: ٤]، قُرئ لفظ ﴿ مَٰلِكِ ﴾ بإثبات الألف (مالك) وقرئ بحذفها (ملك)، ورسمُ المصحف يحتمل القراءتين لأن لفظ ﴿مَٰلِكِ﴾ كتب في جميع المصاحف بغير ألف اختصارًا(١).

قال الإمام ابن الجزري في طيِّبةِ النشر:

فَكُـلُّ مَا وَافَقَ وَجْـهَ نَحْوِ ** وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي

وَصَـحَّ إسْنادًا هُوَ الْقُرْآنُ ** فَهَـذِهِ الثَّلاثَـــةُ الأَرْكَـانُ

[1]- ينظر: صفحات في علوم القراءات (ص: ٥٨).

وحَيثُما يَخْتَلَّ رُكْنٌ أَثْبِتِ ** شُــذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبعَةِ (١).

وقال أَبو حَيَّان الأندلسيُّ:

مَنْ يَأخُذِ العِلْمَ عَنْ شَيخٍ مُشافَهَةً ** يَكُنْ مِنَ الزَّيغِ والتَّحْريفِ فِي حَرَمِ

ومَنْ يَكُنْ آخِذًا لِلْعِلْمِ عَنْ صُحُفٍ ** فَعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ كَالعَدَمِ(٢).

اختيار القراء السبعة:

بعد أن جمع سيدنا عثمان – رضي الله عنه – القرآن في مصحف واحد، الجمع العثماني – المصحف العثماني – أرسل – رضي الله عنه – مصحفًا من المصاحف العثمانية إلى كل مِصْرٍ من أمصارِ – بلدٍ من البلاد– المسلمين مع قارئٍ متقنٍ يُقرئ الناسَ بما يوافق رسم المصحف المرسل إليهم، وكان يتخير لكل قارئ المصحف الذي يوافق قراءته. فكان: زيد بن ثابت (توفي سنة ٤٥هـ) مع المصحف المدني.

المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (توفي سنة نيف وسبعين) مع المصحف الشامي.

أبو عبد الرحمن السلمي (توفي سنة ٤٧هـ) مع المصحف الكوفي.

عامر بن قيس (توفي سنة ٥٥هـ) مع المصحف البصري.

عبد الله بن السائب المخزومي (توفي في حدود سنة سبعين) مع المصحف المكي.

أقرأ هؤلاء المبعوثون القُرّاء من قِبَل سيدنا عثمان – رضي الله عنه – الناس القرآن بما يوافق رسم المصحف المرسل إليهم في بلدهم، وأقرأ تلاميذهم غيرهم، وانصرف قوم للاعتناء بالقرآن، وقاموا بضبطه، وانشغلوا بحفظه، وتفرغوا لإقرائه وتعليمه الناس حتى أصبحوا في ذلك أئمة يقتدى بهم، ويُرحل إليهم، ويُؤخذ عنهم.

---

[١]– ينظر: شرح طيبة النشر لابن الجزري (ص: ٧).

[٢]– ينظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المرصفي (٥١/١).

ثم بعد زمنٍ ليس بالطويل كَثُرَ القُرّاء، وتفاوتوا في الضبط والاتقان، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على أحدهما، وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقل الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق، فقام جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد وبينوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعَزُوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ، والصحيح والفاذّ، بأصول أَصَّلُوها، وقواعد اجتهدوا في تقعيدها، وأركان فَصَّلُوها، ثم إن هؤلاء القراء – الموصوفين بما ذُكِر – بعد ذلك تفرقوا في البلاد وخَلَفَهُم أُمَمٌ بعد أُمَم، فَكَثُر الاختلاف عند الناس وعَسُرَ الضَّبط عندهم، فقام الأئمة العظماء بوضع موازين وقواعد وأصول يُرجَعُ إليها، فاقتصر الناس من القراءات على ما تحققت فيها شروط القراءة الصحيحة، وما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة به(١).

ولما تطاول الزمن ومر الأيام وتكاثر أسانيد وروايات القرآن تَشَعَّبَت الطُّرق وكَثُرَت الأوجه، مما دعا إلى تنظيم القراءات وتَمْيِيز بَعضها عن بعض، لأن من شروط الجمع عدم التركيب والخلط في القراءة الواحدة، ومن هنا قام العلماء المحققون المحررون لمواطن الخلاف المنظمون للطرق والأوجه والروايات فقاموا بجهد بالغ خدمةً لكتاب الله العظيم.

ولقد اعتمد المحررون كلهم على كتاب محقق علم القراءات ابن الجزري (النشر في القراءات العشر) الذي جمع فيه نحوًا من ألف طريق آلف بينها وجمعها من سبعة وخمسين كتابا.

فقام المحررون بحصر مواقع الخلاف آية آية مُرَاعِين في ذلك كتاب النشر وأصوله الكثيرة، مع رد كل خلاف إلى أصله، حتى نشأ ما عرف باسم التحريرات، كتخصص داخل علم القراءات الواسع(٢).

يقول الشيخ أحمد البَنَّا الدمياطي: ".. ليعلم أن السبب الداعي إلى أخذ القِرَاءة عن القُرّاء المشهورين دون غيرهم، وأنه لما كثر الاختلاف فيما يحتمله رسم المصاحف العثمانية التي

١- ينظر: النشر في القراءات العشر (٩/١).

٢- ينظر: معجم علوم القرآن (ص: ٨١).

وجه بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار فصار أهل البدع والأهواء يقرؤون بما لا يحل تلاوته وفاقاً لبدعتهم، أجمع رأي المسلمين أن يتفقوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرءان العظيم فاختاروا من كل مصرٍ به مصحف عثماني أئمة مشهورين بالثِّقَة والأمانة في النَّقل وحُسن الدِّراية وكمال العلم، أفنوا أعمارهم في القراءة والإقراء، واشتهر أَمْهَرُهم وأتقنهم وأضبطهم للقراءة، وأجمع أهل مِصْرِهم – بَلَدهم – على عدالتهم، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم"(١).

في هذا الإطار أَلَّفَ شيخ القراء في عصره الإمام أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد كتابه في القراءات المعروف بـ (السَّبْعة)، اختار فيه من القراءات ما وافق خط المصحف، ومن القراء إمامًا من كل مصر مشهور بالثِّقة والأمانة في النقل وحسن الدين، وكمال العلم، قد طال عمره واشتهر أمره بالثقة، وأجمع أهل مِصْرِه – بلده – على عدالته فيما نَقَل، وثقته فيما قَرَأ ورَوَى، مع عِلمه ودرايته التَّامَّة بما يقرأ.

فكان: أبو عمرو البصري من أهل البصرة، وحمزة وعاصم والكسائي من أهل الكوفة، وابن كثير المكِّي من أهل مكة، وابن عامر الشّاميّ من أهل الشام، ونافع المَدَنيّ من أهل المدينة، وبهذا كان أبو بكر بن مجاهد أول من قَصَرَ القُرَّاء على هؤلاء السبعة وتلقت الأمة هذا الحصر بالقبول.

فائدة في قصر القراءات على القُرّاء العشرة:

انتشر الصحابة في الأمصار وتلقى الناس عنهم مذاهبهم في القراءة، واشتغل بالإقراء عن الصحابة أولا كبار التابعين، أمثال عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (٢)، وسعيد بن المسيب

[١]– ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: ٧).

[٢]– أبو داود عبد الرحمن بن هرمز الاعرج، من موالي بني هاشم، حافظ قارئ، من أهل المدينة، أدرك أبا هريرة وأخذ عنه، وهو أول من برز في القرآن والسنن، وافر العلم ثقة. رابط بالإسكندرية مدة ومات بها سنة ١١٧هـ.

(١)، وشيبة بن نِصَاح (٢) ويزيد بن رومان (٣)، ومجاهد بن جبر المكي(٤)، ودرباس مولى ابن عباس(٥)، والحسن البصري(٦)، وأبي العالية رفيع بن مهران الرياحي(٧)، وحميد بن قيس الأعرج المكي، والمغيرة بن أبي شهاب المخزومي(٨)، وزرّ بن حبيش (٩)، وأبي عبد الرحمن السّلمي (١٠)، وسليمان بن مهران الأعمش (١١)،

[١]– هو سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد، ولد سنة ١٣هـ. سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاء، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته؛ حتى سمّي راوية عمر، توفي بالمدينة سنة ٩٤هـ.

[٢]– شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المخزومي المدني: قاضي المدينة، وإمام أهلها في القراءات. وكان من ثقات رجال الحديث توفي سنة ١٣٠هـ.

[٣]– أبو روح يزيد بن رومان الأسدي، مولى آل الزبير بن العوام، عالم بالمغازي، ثقة، من أهل المدينة، ووفاته بها سنة ١٣٠هـ، له أحاديث في الكتب الستة.

[٤]– هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم، ولد سنة ٢١هـ. تابعيّ، مفسّر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القرّاء والمفسّرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرّات، يقف عند كل آية يسأله فيم نزلت، وكيف كانت، توفي في الكوفة سنة ١٠٤هـ.

[٥]– درباس مولى ابن عباس، ثقة من التابعين، أخذ عن ابن عباس عِلماً كثيراً وخاصة في التفسير.

[٦]– أبو سعيد الحسن بن أبي يسار البصري، ولد سنة ١٢هـ. إمام زمانه علما وعملا، قرأ على حطان الرّقاشي عن أبي موسى الأشعري، وعلى أبي العالية عن أُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعمر بن الخطاب، روى عنه: أبو عمرو البصري، ويونس بن عبيد، وعيسى بن عمر. توفي سنة ١١٠هـ.

[٧]– أبو العالية هو رفيع بن مهران الرياحي، ثقة كثير الإرسال، توفي سنة ٩٣هـ.

[٨]– أبو هشام المغيرة بن سلمة البصري، ثقة ثبت، روى له مسلم وأبو داود، مات سنة ٢٠٠هـ.

[٩]– هو زرّ بن حبيش بن حباشة الأسدي الكوفي، أبو مريم، ثقة جليل مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم. كان عالما بالقرآن، فاضلا. وكان ابن مسعود يسأله عن العربية. سكن الكوفة. وعاش مئة وعشرين سنة، ومات بوقعة بدير الجماجم سنة ٨٣هـ.

[١٠]– أبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب بن ربيعة، الكوفي المقرئ، ثقة ثَبْت توفي سنة٧٠هـ.

[١١]– هو أبو محمد سليمان بن مهران، الأعمش، الكاهلي مولاهم، الكوفي، ولد سنة ٦٣هـ. كان يسمى بسيد المحدثين، لقي من الصحابة ابن أبي أوفى، وأنس بن مالك، ولم يثبت له سماع عنهما، وتوفي سنة ١٤٨هـ.

ومحمد الباقر (١)، وعلي زين العابدين (٢)، وغيرهم(٣). وعن هؤلاء الأعلام الثِّقات الكِبار أخذ الأئمة الثِّقات الأثبات بعدهم، وقد أحصى إمام الدنيا في هذا العِلم الإمام ابن الجزري أسماء أئمة القراءة بين الأئمة العشرة والصحابة في كتابه المسمى "غاية النهاية في أسماء رجال القراءات أولي الرواية والدراية". ولكن هؤلاء الأئمة– على كثرتهم وتقدمهم في العلم– لم ينالوا شرف نسبة القراءة إليهم.

وإنما نُسِبَت القراءات المتواترة إلى هؤلاء الأئمة العشرة دون سواهم؛ لأن الحاجة لم تكن توافرت بعدُ للتمييز بين المتواتر وسواها، إذ مراجع الأمة متوافرون، والعهد قريب، فلما اختلط الصحيح بالسقيم دعت الحاجة لوضع ضوابط يمتاز بها المتواتر من غيره، وحين وضعت هذه الشروط لم نجد بالاستقراء من التزمها وضبط قراءته بها إلا هؤلاء الأئمة العشرة(٤).

وأول من اشتغل بجمع القراءات هو الإمام أبو عبيد، القاسم بن سلّام (٥). ولكن جهده في جمع القراءات لم يكن مرتكزا على منهج اعتباري، وإنما كان يعنى بضبط ما يروى من القراءات، والاحتجاج لها، وقد جمع علمه في هذا الباب في كتابه القراءات.

---

[١]– محمد الباقر، هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الصادق، من أعلام السلف الصالح، أخذ عن أبيه، وأدرك صغار الصحابة، مات سنة بضع عشرة ومائة.

[٢]– علي زين العابدين، هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من السادة الأجواد، عالم عارف، أدرك جده عليّا وهو طفل، وأدرك عددا من الصحابة، قال عنه الزهري: ما رأيت قرشيّا أفضل منه، مات سنة ٩٣هـ.

[٣]– ينظر: القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية (ص: ٦٠).

[٤]– ينظر: القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية (ص: ٦١).

[٥]– أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، ولد سنة ١٥٧هـ. من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. وكان مؤدبا. ورحل إلى بغداد ومصر، فسمع الناس من كتبه. وحج فتوفي بمكة سنة ٢٢٤هـ. ينظر: الأعلام للزركلي (١٧٦/٥).

وهكذا فإن أبا عُبَيد كان في الحقيقة مُعاصِرًا لأئمة القراءة الكبار، ولكنه لم يكن معنيّا بالاستقلال بحرف لنفسه؛ بقدر ما كان يعنى باستقصاء حروف الأئمة، لذلك فإنه لم يَجْرِ عمل الأوَّلِين على إدراجه في القرّاء العشرة رغم أنه لا يقلّ عنهم رتبة ومنزلة.

أما تسمية القراءات بـ (القراءات السبع) فلم تظهر إلا على يد ابن مجاهد (١). مطلع القرن الرابع، وأما استكمال القراءات العشر؛ فلم يتم إلا على يد العلّامة الجليل الشمس ابن الجزري(٢)، في مؤلّفه النّشر في القراءات العشر، ومن الإنصاف أن نقول إن هذا الضبط بالأئمة السبعة لم يكن كافيا، ولا حاسما في تلك الفترة، فثمة أئمة كثير قرأوا وأقرأوا، واشتهر علمهم وفضلهم خلال هذه الفترة من عهد التابعين وتابعيهم(٣).

صلة القراءات بالأحرف السبعة:

جمهور العلماء على أن الأحرف السبعة ليس المراد بها القراءات السبع وذلك لأن القراءات السبع وتحديدها جاء متأخراً عن نزول القرآن الكريم بالأحرف السبع. إلا ان العلماء اختلفوا في صلة القراءات بالأحرف السبعة، والراجح هو قول مكي بن أبي طالب وابن الجزري بأن القراءات التي يقرأ بها الناس والتي صحت روايتها عن الأئمة (القراءات العشر) إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرءان الكريم ووافق اللفظ بها خط المصاحف العثمانية التي كتبت على حرف واحد (حرف قريش) لوأد الخلاف الذي حدث

---

[1]– الإمام المقرئ أحمد بن موسى بن مجاهد، ولد ابن مجاهد بسوق القطن في بغداد سنة (٢٤٥هـ)، وظهر نبوغه مبكرا حيث حفظ القرآن الكريم صغيراً، وأكثر من القراءة على الشيوخ حتى عدّ له ابن الجزري نحوا من مائة شيخ قرأ عليهم ختمات كاملة للقرآن الكريم، وأجازوه بها، واجتمع عليه الطلاب من الأقطار، وصار يقرئ بالقراءات. وكان ابن مجاهد إماما مقصودا في القراءة، ويمكن القول – بأنه مؤسس أول جامعة للقرآن وقراءاته في بغداد –، وقد فاق في عصره سائر نظرائه من أهل صناعته مع اتّساع علمه، وبراعة فهمه، وصِدق لهجته، وظهور نُسُكه. وقد نال ابن مجاهد ثقة سائر المشتغلين بالقراءات في عصره، وبعده، قال فيه ابن الجزري: "ولا أعلم أحدا من شيوخ القراءات أكثر تلاميذا منه، ولا بَلَغَنا ازدحام الطلبة على أحد كازدحامهم عليه، وقد حكى ابن الأخرم عنه أنه وصل إلى بغداد فرأى في حلقة ابن مجاهد نحوا من ثلاث مائة مُصَدّر وطالب علم". أشهر كُتُبه (السبعة في القراءات). وتوفي ابن مجاهد – رحمه الله – سنة ٣٢٤هـ.

[2]– ستأتي ترجمته مفصَّلة.

[3]– ينظر: القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية (ص: ٦٢).

بين المسلمين في عهد عثمان رضي الله عنه، إلا أنها مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة لخلوها من النقط والشكل. قال الإمام مكيّ بن أبي طالب(١) "إن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم، وصحت روايتها عن الأئمة، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللفظ بها خط المصحف العثماني الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه، وطرح ما سواه مما يخالف خَطّه، فَقُرِئ بذلك لموافقة الخط لا يخرج شيء منها عن خط المصاحب التي نسخها عثمان "رضي الله عنه"، وبعث بها إلى الأمصار، وجمع المسلمين عليها، ومنع من القراءة بما خالف خطها، وساعده على ذلك زهاء اثنى عشر ألفا من الصحابة والتابعين، واتبعه على ذلك جماعة من المسلمين بعده، وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ، وإن صحت ورويت"(٢).

إذن فالقراءات السَّبْع: غير الأحرف السبعة –على أصح الآراء– حتى وإن أَوْهَمَ التوافق العددي الوحدة بينهما، لأن القراءات هي مذاهب لأئمة القراءة، وهي باقية إجماعا يقرأ بها الناس، ومنشؤها هو اختلافٌ في اللّهجات العربية وكيفية النُّطق بها وطُرُق الأداء من تفخيم وترقيق، وإمالة، وإدغام، وإظهار، وإشباع، ومد، وقصر، وتشديد، وتخفيف... إلخ.

أما الأحرف السبعة فهي بخلاف ذلك على نحو ما فَصَّلنا سابقاً، وقد انتهى الأمر بها إلى ما كانت عليه العرضة الأخيرة حين اتسعت الفتوحات، ولم يَعُد للاختلاف في الأحرف خشية الفتنة والفساد، فحمل الصحابة الناس في عهد عثمان على حرف واحد هو حرف قريش وكتبوا به المصاحف كما تقدم(٣).

والخلاصة:

١– أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش الأندلسي القيسي، مقرئ، عالم بالتفسير والعربية. ولد بالقيروان سنة ٣٥٥هـ. وطاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلده، وأقرأ بها. ثم سكن قرطبة، وخطب وأقرأ بجامعها. له كتب كثيرة، منها: مشكل إعراب القرآن، والكشف عن وجوه القراءات وعللها، والتبصرة في القراءات السبع، والرعاية لتجويد التلاوة، والإبانة في القراءات. وتوفي سنة ٤٣٧هـ. الأعلام للزركلي (٢٨٦/٧).

٢– ينظر: الإبانة عن معاني القراءات، أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، (ص: ٣٢). تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الناشر: دار نهضة مصر للنشر.

٣– ينظر: مباحث في علوم القرآن، مَنَّاع القَطَّان (ص: ١٧٢).

قراءات أولئك القُرّاء السبع هي المتفق عليها، وقد اختار العلماء من أئمة القراءة غير السَّبع، ثلاثة صحت قراءتهم وتواترت، وهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي، وخلف بن هشام، وبهؤلاء الثلاثة تَكَوَّنَت القراءات العشر. وما عداها فهو شَاذٌّ (١)، كقراءة: اليزيدي، والحسن البصري، والأعمش، وابن مُحَيْصِن، وغيرهم. ولا تخلو إحدى القراءات العشر، واختيار القُرّاء السّبع إنما هو للعلماء المتأخرين في المائة الثالثة، وإلا فقد كان الأئمة الموثوق بعلمهم كثيرين، وكان الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة أبي عمرو، ويعقوب، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم، وبالشام على قراءة ابن عامر، وبمكة على قراءة ابن كثير، وبالمدينة على قراءة نافع، وكان هؤلاء هم السبعة. فلما كان على رأس المائة الثالثة أثبت ابن مجاهد الكسائي، وحذف منهم يعقوب(٢).

أقسام القراءات من حيث السند:

تنقسم القراءات إلى:

أولاً: القراءة المتواترة:

وهي القراءة التي وَافَقَت العربية ورسم المصحف ونقلها جمعٌ لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم بالسند المتصل بالرسول – صلى الله عليه وسلم – كما تقدّم.

مثاله: القراءات العشر المتواترة.

ثانياً: القراءة المشهور:

هي القراءة المتصل سندها بالرسول صلى الله عليه وسلم، ووافقت العربية ورسم المصحف، واشتهرت عند القراء فلم تُدرج ضمن الشاذ إلا أنها لم تبلغ درجة المتواتر.

ثالثاً: قراءة الآحاد:

---

[١]– ستأتي ترجمة أصحاب القراءات المتواترة والشّاذّة.

[٢]– ينظر: مباحث في علوم القرآن، مَنَّاع القَطَّان (ص: ١٧٣).

هي القراءة المتصل سندها بالرسول – صلى الله عليه وسلم–، وخالفت العربية أو رسم المصحف أو كليهما، أو لم تشتهر اشتهار ما ذُكِر من القراءات المتواترة أو المشهورة، وهذا النوع لا يقرأ به ولا يجب اعتقاد قُرآنيّته.

رابعاً: القراءة الشاذة:

هي القراءة التي لم يصح سندها أو لا وجه لها في العربية أو أنها خالفت رسم المصحف العثمانيّ، كقراءة ابن السميفع: "فَالْيَوْمَ نُنَحِّيكَ بِبَدَنِكَ" بالحاء المهملة "لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً" بفتح اللام من كلمة "خلفك".

خامساً: القراءات الموضوعة:

هي القراءة التي نسبت إلى قائلها من غير أصل أو سند وهي موضوعة مكذوبة: مثال ذلك القراءات التي جمعها محمد بن جعفر الخزاعي، كقراءة "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ" برفع اسم الجلالة ونصب العلماء"

سادساً: قراءات ما يشبه المُدْرَج من أنواع الحديث:

وهو ما زِيدَ في القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد ابن أبي وقاص – رضي الله عنه – : "وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ" بزيادة لفظ: "من أم"، وقراءة: "لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ" بزيادة عبارة "في مواسم الحج"(١).

تنبيه:

جدير بالذكر أن قارئ القرآن لا يسمى مقرئاً على الحقيقة حتى ولو حفظ العشر كلها والأربع الزائدة، إلا إذا أتقنها وأحكمها بالسماع من العلماء المُتْقِنين المُجَوّدين لها ومشافهتهم بها.

[١]– ينظر: مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص: ٢٥٧).

فائدة في معرفة شذوذ القراءات:

قيل إن الحَدّ الفاصل بين القراءات الصحيحة والشاذة هو: العَرضَة الأخيرة التي عَرَضَ فيها الرسول –صلى الله عليه وسلم– القرآن على جبريل –عليه السلام– مرتين في رمضان، وقد نُسخت فيها بعض الآيات القرآنية، فكل ما نُسخ حتى العرضة الأخيرة يعتبر شاذًّا.

وهناك قولٌ آخر وخلاصته:

أنّ الشُّذوذ ظهر في عصر الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه– حينما كُتِبَت المصاحف، وأمر بإحراق ما عداها من المصاحف، فيُعتبر ذلك حدًّا فاصلًا بين القراءات الصحيحة والشاذة، ويُدرك ذلك بالتأمل في أركان القراءة الصحيحة حيث موافقة القراءة لأحد المصاحف العثمانية شرط لقبول (١).

وقد قَسّمت القراءات من حيث القبول والرَّدّ إلى قسمين:

القسم الأول: قراءات مقبولة: وهي التي تتوفر فيها الشروط الثلاثة المتفق على قبولها. أن تكون القراءة متواترة، وأن توافق وجهاً من وجوه اللغة العربية، وأن توافق أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

القسم الثاني: قراءات مردودة: فهي التي اختل فيها أحد الشروط الثلاثة لقبولها، أو كلها، وهي التي يطلق عليها: الشاذة أو ما عدا المتواترة.

وقد قال العلماء فيها:

(١) لا يجوز اعتقاد قرآنيتها.

(٢) لا تجوز القراءة بها تعبداً.

(٣) يجب تعزير من أَصَرَّ على قِراءَتِها تَعَبُّداً أو إقراءً بها كالمتواترة(٢).

قال الإمامُ ابن الجزريِّ في طيِّبةِ النشر:

---

[١]– ينظر: مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص: ٢٥٧).

[٢]– ينظر: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، عبد القيوم السندي (ص: ١٣).

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْـهَ نَـحْوِ ** وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي

وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرآنُ ** فَهَــــذِهِ الثَّلاثَــةُ الأَرْكَـانُ

وحَيثُما يَخْتَلَّ رُكْنٌ أَثْبِتِ ** شُذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبعَةِ

وقال الإمام بن الجزري في كتابه النشر:

" كلّ قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت، عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف"(١).

وبهذا تكون كل قراءة صح سَنَدها إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وكانت موافقة للغة العربية ورسم أحد المصاحف العثمانية قراءة مقبولة ولو كانت غير متواترة.

وهذه القراءات المقبولة يجب على كل مسلم اعتقاد قرآنيتها، يُقرأ بها تعبدًا في الصلوات وخارجها، ويكفر جاحد حرف منها.

تعريف موجز بالقُرَّاءُ العَشرَة ورُوَاتُهم:

القارئ الأول: الإمام نافع المدني:

هو أبو رُوَيْم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم الليثي، ولد سنة ٧٠هـ، وهو أحد القراء السبعة الأعلام، ثقة صالح، أَصْلُه من أصبهان، وكان أسود اللون، صَبيحُ الوجه، حَسن الخُلُق، وكانت فيه دُعَابة. قيل لنافع: ما أصبح وجهك وأحسن خلقك؟ قال: فكيف لا أكون كذلك، وقد صافحني رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في المنام وعليه قرأت القرآن، قال

---

(١)– ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزريّ (٩/١).

رجل ممن قرأ على نافع: إن نافعًا كان إذا تكلم يُشَمُّ من فمه رائحة المسك فقلت له: يا أبا رُوَيم هل تَتَطيّب كلما قعدت تُقرئُ الناس؟ قال: ما أَمَسُّ طِيبًا، ولكني رأيت النبي –صلى الله عليه وسلم– فيما يرى النائم، وهو يقرأ في فمي، فمن ذلك الوقت أشمّ من فيّ هذه الرائحة، قرأ على سبعين من التابعين، وكان عالماً بوجوه القراءات والعربية، فصيحًا وَرِعًا، إماماً للناس في القراءات بالمدينة، أخذ القراءة عَرْضاً عن جماعة من تابعي أهل المدينة منهم عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وأبي جعفر المدنيّ القارئ، وشَيْبَة بن نِصَاح، ويزيد بن رُومَان، ومسلم بن جُندب، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وغيرهم. أقرأ الناس أكثر من سبعين سنة، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بها.

من تلاميذه: إسماعيل بن جعفر، وعيسى بن وَرْدَان، وسُلَيمان بن مُسلم بن جَمَّاز، ومالك بن أنس صاحب المذهب، وهؤلاء من أقران الإمام نافع. وكذلك من تلامذته إسحاق بن محمد، ومحمد بن عمر الواقدي، وراوياه هما: (قالون) عيسى بن مِينَا والثاني: (ورش) عثمان بن سعيد توفي نافع – رحمه الله – سنة ١٦٩هـ(١).

راويا الإمام نافع المَدَنيّ هما:

الراوي الأول: قالون:

وهو أبو مُوسى عيسى بن مِيَنا بن وَردَان بن عيسى بن عبد الصَّمَد، الزُّرَقي، مَولَى بني زهرة. ولد سنة ١٢٠هـ، لقبه شيخه الإمام نافع بـ (قالون) لجودة قراءته، لأن قالون بلغة الروم تعني (الجَيّد)، وكانَ قارئ المدينة المنورة ونَحَوِيّها، وكان أصمّ يُقرئ القُرّاء ويَفهم خَطَأهم ولَحنَهم، قيل إنه ربيب نافع وقد اختص به كثيرًا، ولم يزل يقرأ على نافع حتى أتقنَ ومَهَرَ وحَذَقَ، وروى الحديث عن محمد بن جعفر بن أبي كثير، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وطال عمره وذاع صِيتُه، وقال علي بن الحسن الهسنجاني الحافظ: كان قالون شديد الصمم، فلو رفعت صوتك لا يسمعك لكنه كان ينظر إلى شَفَتَي القَارئ، فَيَرُدّ عليه الخطأ.

١– ينظر: غاية النهاية في طبقات القُرَّاء، ابن الجزريّ (٢/٣٣٠).

قرأ عليه كثيرون منهم ولداه أحمد وإبراهيم، وأحمد بن يزيد الحُلوانيّ، ومحمد بن هارون أبو نشيط، وحمد بن صالح المصري. وسمع منه إسماعيل القاضي، وموسى بن إسحاق الأنصاري، وأبو زرعة الرازي المُحَدِّث المعروف، توفي –رحمه الله– سنة ٢٢٠هـ.(١).

الراوي الثاني (ورش):

هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عبد الله القبطي المصري القيرواني الأصل، المُقْرِئ. شيخ القُرّاء المُحَقّقين، وإمامُ أهل الأداء المُرَتّلين ، ولد سنة ١١٠هـ، كان بارع في العربية ومعرفته في التجويد، وكان جيد القراءة حسن الصوت، قرأ القرآن وجَوَّدَه على نافع عِدّة ختمات، في حدود سنة ١٥٥هـ.

لقَّبَه شيخه نافع بِوَرْش لشدة بياضه، والوَرَش شيء يُصنَع من اللبن. وقيل: لقبه بالورشان، وهو طائر معروف. وكان ورش يعجبه هذا اللّقب ولا يكرهه، ويقول: أستاذي نافع هو مَن سَمَّانِي به، اشتغل بالقرآن والعربية ومَهَر فيهما. وكان أشقر أزرق سمينا، مربوعا، وإليه انتهت رياسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه.

وله قصة في صَبرِهِ ورحلته للقراءة على الإمام نافع المدنيّ فيقول: قال: خرجت من مصر، لأقرأ على نافع، فلما وصلت إلى المدينة، صرت إلى مسجد نافع، فإذا هو لا يطاق القراءة عليه من كثرتهم، وإنما يُقرِئ ثلاثين آية فقط.

فجلست خلف الحلقة، وسألتُ إنساناً: من أكبر الناس عند نافع؟ فقال لي: كبير الجعفريين، فقلت: فكيف به؟ قال: أنا أجيء معك إلى منزله.

وجئنا إلى منزله، فخرج شيخ فقلت: أنا من مصر، جئت لأقرأ على نافع، فلم أصل إليه، وأخبرت أنك من أصدق الناس له، وأنا أريد أن تكون الوسيلة إليه، فقال: نَعَم وكَرامَة(٢) –

---

[١]– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذهبيّ (ص: ٩٣). غاية النهاية، ابن الجَزَريّ (٦١٥/١).

[٢]– هي كلمة مدح للفاعل واستجابة لكلامه مع الرضى لما قال.

وهذه كلمة تَعني الموافقة على الطلب –، ومضى معنا إلى نافع، فقال له الجعفري: هذا وسيلتي إليك، جاء من مصر ليس معه تجارة، ولا جاء لحج، إنما جاء للقراءة خاصة.

فقال نافع: إنك ترى ما أَلْقَى من أبناء المهاجرين والأنصار، فقال صَدِيقُه: إذن تَحتال له، فقال لي نافع: أَيُمكِنُك، أن تبيت في المسجد؟ قلت: نعم، فَبِتُّ في المسجد فلما أن كان الفجر جاء نافع. قال ما فعل الغريب: فقلت: ها أنا رحمك الله، قال: أنت أولى بالقراءة، قال: وكنت مع ذلك حَسَن الصوت، مَدَّادًا به، فاستفتحت فملأ صوتي مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم–. فقرأت ثلاثين آية فأشار بيده أن اسْكُتْ فَسَكَتُّ، فقام إليه شاب من الحلقة، فقال: يا مُعَلِّم أَعَزَّك الله، نحن معك وهذا رجل غريب، وإنما رَحَل للقراءة عليك، وقد جعلت له عشرا وأَقْتَصِرُ على عشرين فقال: نَعَم وكَرامة، فقرأت عَشْرا فقام فَتًى آخر، فقال كقول صاحبه فقرأت عَشْرًا وقعدت واقتصرت على عشرين، حتى لم يبق له أحد ممن له قراءة. فقال لي: اقرأ فأقرأني خمسين آية فما زلت أقرأ عليه خمسين في خمسين حتى قرأت عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة. توفي – رحمه الله – سنة ١٩٧هـ. (١).

القارئ الثاني: الإمام ابن كثير المكيّ:

هو أبو معبد، وقيل أبو عبّاد عبد الله بن كثير بن عمرو المَكيّ، ولد سنة ٤٥هـ. أصله فارسي، نشأ بمكة، ولقي من الصحابة عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك، وكان إمام الناس في القراءة بمكة لا يُنازعُه فيها مُنازع، وكان بَليغًا فَصيحًا مُفَوَّهًا، عليه السَّكينةُ والوَقار، وهو مولى عمرو بن علقمة الكناني الداريّ المكي ، وكان عَطَّارًا بمكة المكرّمة، كان إمام أهل مكة في القراءة. اختُلف في نِسبته كثيراً، فقيل: إنه كان داريا (عطّاراً يبيع العطور) بمكة، مأخوذ من قوله عِطْر دارين، وقيل: إن دَارِين موضع بنواحي الهند يُجلب منه العُطور والبخور، وقيل: نسبة إلى بطن من بطون العرب. وقيل غير ذلك.

كان يخضب بالحِنَّاء، وهو من أبناء فارس الذين سكنوا صنعاء، بعثهم كسرى في السفن إلى اليمن، وكان وَرِعًا زاهدا، وأجمع أهل مكة على قراءته بعد وفاة مجاهد بن جبر.

---

(١) – ينظر: معرفة القراء الكبار، الذهبيّ (ص: ٩١). غاية النهاية في طبقات القراء (٥٠٢/١).

قرأ على عبد الله بن السائب المخزومي، وعلى مُجاهد ودرباس مولى ابن عباس، وحدث عن عبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن مطعم، وعمر بن عبد العزيز، وسمع من ابن عينية، ومالك بن سُعير، وطائفة.

وتَصَدّر للإقراء وصار إمامُ أهل مكة في ضبط القرآن، قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء – من القُرّاء السّبعة –، وشِبْل بن عَبّاد، ومعروف بن مشكان، وإسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين وطائفة. وحَدَّثَ عنه أيوب السختياني، وابن جريج، وحَمَّاد بن سَلَمة وقرّة بن خالد، وخَلْقٌ سواهم. توفي – رحمه الله – سنة ١٢٠هـ (١).

راويا الإمام ابن كثير المكّيّ هما:

الراوي الأول: البَزِّيّ:

هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، المخزومي مولاهم مولى بني مخزوم، فارسيّ الأصل، ولد بمكة سنة ١٧٠هـ. وهو أكبر من روى قراءة ابن كثير، كان إماماً في القراءة، مُحَققًا ضابطًا متقناً لها، وكان مُقرِئ مَكة ومؤذن المسجد الحرام أربعين سنة، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة.

قرأ على عكرمة بن سليمان، وأبي الإخريط، وابن زياد، عن تلاوتهم على إسماعيل القسط؛ صاحب ابن كثير. قيل له البزّي؛ لأنه منسوب إلى أبي بزّة، وأبو بزّة فارسّي من أهل همدان، اسمه بشار، أسلم على يد السائب بن أبي السائب المخزومي.

وتوفي رحمه الله سنة ٢٥٠هـ. في أيام الخليفة العبّاسيّ المستعين بالله وعُمرُه ثمانون سنة.(٢).

---

[١]– ينظر: طبقات القراء السبعة، عبد الوهاب بن يوسف، المعروف بابن السَّلّار الشافعي (المتوفى: ٧٨٢هـ)، (ص: ٦٥). تحقيق: أحمد محمد عزوز، الناشر: المكتبة العصرية – صيدا بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م. سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤٥٤/٩). معرفة القراء الكبار، الذَّهبيّ (ص: ٤٩).

[٢]– ينظر: غاية النهاية، ابن الجزَريّ (١١٩/١). طبقات القراء السبعة، الذَّهبيّ (ص: ١١٤).

الراوي الثاني: قُنْبُل:

هو أبو عُمَر محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن سعيد المخزومي مولاهم المكيّ بالولاء، ولد سنة ١٩٥هـ، لُقِّب بقنبل لأنه من قوم يقال لهم القنابلة، وقيل: غير ذلك.

وكان إمامًا في القراءة متقنًا ضابطًا، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز ورحل إليه الناس من الأقطار، وكان من أَجَلّ رواة ابن كثير وأوثقهم وأعدلهم.

قرأ وجَوَّد القراءة على أبي الحسن القَوَّاس وأخذ القراءة عن البَزّي أيضا، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، قَرَأَ عليه خَلق كثير، منهم أبو بكر بن مجاهد، وأبو الحسن بن شَنَبُوذ، ومحمد بن عيسى الجصاص، وإبراهيم بن عبد الرزاق الأنطاكي، وابن شوذب الواسطي. وممن رحل إليه وقرأ عليه: أبو بكر محمد بن موسى الزينبي، ومحمد بن عبد العزيز بن الصباح.

كان قُنبُل قد وَلِيَ الشُّرطة بمكة في وسط عمره، فحُمِدَت سيرته. ثم إنه كَبر في السِّن وشاخ فقطع الإقراء قبل موته بسبع سنين، توفي – رحمه الله – سنة ٢٩١هـ.(١).

القارئ الثالث: الإمام أبو عمرو البصري:

هو أبو عمرو، زَبَان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحسين التَّميميّ، ثم المَازنيّ البَصْرِيّ، المُقْرِئ النحوي الإمام، مقرئ البصرة وعالِمها، اسمه زبان على الأصح وقيل: العريان. وقد اختُلف في اسمه على أكثر من عشرين قولا.

ولد بمكة سنة ٦٨هـ. ونشأ بالبصرة ثم رَحلَ مع أبيه إلى مكة والمدينة، قرأ بمكة والمدينة والكوفة والبصرة، وكان إمام النحو في عصره، وكان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والأمانة والدين.

أخذ القراءة عن أهل الحجاز، لما توجه مع أبيه عندما هرب من الحجاج فقرأ بمكة على عبد الله بن كثير المكي المُقْرئ، وبالمدينة على أبي جعفر يزيد ابن القعقاع المدني المقرئ، وشيبة بن نِصَاح، ويزيد بن رُومَان، وغيرهم. وقرأ أيضًا بالكوفة على عاصم بن أبي النجود القارئ، وغيره، وبالبصرة على جماعة كثيرة فليس في القُرَّاء السبعة أكثر شيوخًا منه سمع

(١)– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ١٣٣). سير أعلام النبلاء، الذّهبيّ (٥٤/١١).

أنس بن مالك الصّحابيّ وغيره. وعَرَضَ – قرأ مشافهة- بمكة على مجاهد بن جبر، وسعيد بن جُبير، وعطاء ابن أبي رباح، وعِكْرِمة بن خالد، وابن كثير. وعَرَضَ – قرأ مشافهة- بالبصرة على ويحيى بن يَعمر، ونصر بن عاصم، والحسن البصريّ وغيرهم، وحَدَّث عن أنس بن مالك وعطاء بن أبي رباح، ونافع مولى ابن عُمر، وأبي صالح السمان.

قرأ عليه خلق كثير؛ منهم: يحيى بن المبارك اليزيديّ (١)، وشُجَاع البلخي، وعبد الله بن المبارك. توفي – رحمه الله – سنة ١٥٥هـ.(٢).

راويا الإمام أبو عمرو البصريّ هُما:

الراوي الأول: الدُّورِيّ:

هو أبو عُمَرَ حفص بن عُمر بن عبد العزيز بن صَهْبان بن عَدِيّ الدُّوريّ الأَزْديّ النَّحويّ البَغداديّ الضرير، والدُّوريّ نِسبَة إلى الدورة موضع ببغداد، ولد سنة ١٥٠هـ، وكان إمام القراءة في عصره، وشيخ الإقراء في وقته، نزيل سامراء مُقرِئ الإسلام، وشيخ العراق في وقته، ثقةً ثبتًا ضابطًا كبيرًا، وكان جيداً في رواية الحديث، وعالمًا بالقرآن وتفسيره.

رحل الإمام الدُّوريّ في طلب القراءات وقرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ وسمع من ذلك شيئًا كثيرًا، وقرأ على إسماعيل بن جعفر عن نافع، وعنه عن ابن جماز عن أبي جعفر، وعلى الكِسَائيّ وعلى اليزيدي، وعلى سُلَيم، ويقال: إنه أول من جمع القراءات وأَلَّفَها. روى أيضا عن أبي إسماعيل المؤدب، وإسماعيل بن عياش. وابن عيينة، وأبي معاوية الضرير، ويزيد بن هارون، وقد روى عن أحمد بن حنبل، وهو من أقرانه، وطال عُمرُه. وقُصِدَ من الآفاق، وازدحم عليه الحُذَّاق – القُرّاء الماهرون – لعُلُوّ سنده، وسِعَة علمه.

---

[١]- يحيى بن المبارك اليزيدي هو السند المتوسط بين أبي عمرو وراوييه وهما: أبو عمرو الدوري وأبو شعيب السوس. قال الشاطبي -رحمه الله: أفاض علي يحيى اليزيدي سيبه. فأصبح بالعذاب الفرات معللا أبو عمرو الدوري وصالحهم أبو شعيب هو السوسي عنه تقبلا. "انظر شرح الشاطبية لعبد الفتاح القاضي".

[٢]- ينظر: معرفة القراء الكبار، الذَّهبيّ (ص: ٥٨). غاية النهاية، ابن الجزريّ (١/٢٨٩).

قرأ عليه أحمد بن يزيد الحُلوانيّ، وأبو الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس، وعمر بن محمد الكاغدي، وأبو عثمان الضرير، والحسن بن الحسين الصواف، وأحمد بن حرب شيخ المُطَوّعيّ، وخَلْق كثير سواهم، وَحَدّث عنه ابن ماجه في سننه، وأبو زُرْعَة الرازي، وحاجب بن أركين. ومحمد بن حامد، وخلق كثير، توفي رحمه الله سنة ٢٤٦هـ.(١).

الرّاوي الثاني: السُّوسيّ:

هو أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن الجارود السُّوسيّ الرَّقّيّ، المقرئ. والسُّوسيّ نسبة إلى سُوس مدينة بالأهواز، كان ضابطًا مقرئًا، ثقة في الحديث، أخذ القراءة عرضًا وسماعًا عن أبي محمد اليزيدي، وهو من أَجَلّ – أتقن – أصحابه، وسمع بالكوفة من عبد الله بن نمير، وأسباط بن محمد، وبمكة من سفيان بن عيينة، وغيرهم الكثير.

قرأ عليه ابنه أبو معصوم، وموسى بن جرير النحويّ، وعليّ بن الحسين، وأبو الحارث محمد بن أحمد، وأبو عثمان النحوي الرّقّيّون، وأخذ عنه الحروف أبو عبد الرحمن النسائي، وجعفر بن سليمان المشحلائي، والحسين بن علي الخياط، وغيرهم الكثير.

وحَدَّث عنه أبو بكر بن أبي عاصم، وأبو عَرُوبة الحَرَّانيّ، وأبو علي محمد بن سعيد الرّقيّ. توفي – رحمه الله – سنة ٢٦١هـ. وقد قارب عُمرُه التسعين سنة(٢).

القارئ الرابع: الإمام ابن عامر الشامي:

هو أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر اليحصبي، ولد سنة ٨هـ، وهو من حِميَر من قَحْطَان اليمن، كان ثقة في الحديث، إمامًا كبيرًا وتابعيًا جليلًا وعالمًا شهيرًا، إمام أهل الشام في القراءة، وانتهت إليه مشيخة الإقراء بها، يجوز في الحصبي الحركات الثلاث الفتح والكسر والضم في الصاد، قال الحافظ أبو عمرو أخذ القراءة عرضًا عن أبي الدّرداء، وعن المغيرة بن أبي شهاب صاحب عثمان بن عفان وقيل:

١– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ١١٣). غاية النهاية، ابن الجَزَريّ (١/٢٥٥).

٢– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ١١٥). غاية النهاية في طبقات القراء (١/٣٣٣).

عرض على عثمان بن عفّان نفسه. ثبت سماعه من جماعة من الصحابة منهم معاوية بن أبي سفيان، والنعمان بن بشير، وواثلة بن الأسقع، وفضالة بن عبيد، روى القراءة عنه عرضًا – مشافهة – يحيى بن عامر، وربيعة بن يزيد، وجعفر بن ربيعة، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وسعيد بن عبد العزيز، وخلاد بن يزيد بن صبيح المرّيّ، وغيرهم. وحدّث عن معاوية بن أبي سُفيان، وفضالة بن عبيد، والنعمان بن بشير، وواثلة بن الأسقع. روى عنه محمد بن الوليد الزُّبيدي، وربيعة بن يزيد، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وعبد الله بن العلاء، وآخرون.

أمّ المسلمين بالجامع الأمويّ سنين كثيرة في أيام عمر بن عبد العزيز وقبله وبعده، وليَ قضاء دمشق بعد أبي إدريس الخولاني، وجمع له بين الإمامة ومشيخة الإقراء بدمشق، أجمع الناس على قراءته وعلى تلقيها بالقبول، توفي – رحمه الله – توفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ١١٨هـ.(١).

راويا الإمام ابن عامر هما:

الرّاوي الأول لابن عامر: هشام:

هو أبو الوليد هِشَام بن عَمَّار بن نصير بن ميسرة السُّلميّ الدّمَشقيّ، ولد سنة ١٥٣هـ، إمام أهل دمشق وخطيبهم ومُفتيهم ومُقرئهم ومُحَدّثهم ومُفتيهم، عُرف بالثقة والضبط والعدالة، وكان صدوقًا فصيحًا علاّمةً، وكان مشهورًا بالنقل والفصاحة والعلم والرواية والدراية، رُزقَ كِبر السّنّ وصحة العقل والرأي، فارتَحَل الناس إليه في القراءات والحديث، وقرأ القرآن على عِرَاك بن خالد، وأيوب بن تميم وغيرهما، من أصحاب يحيى الذماري، وسمع من مالك بن أنس صاحب المذهب، ومسلم بن خالد الزنجي، وإسماعيل بن عياش، ويحيى بن حمزة. والهيثم بن حميد، وعبد العزيز بن أبي حازم، وصدقة بن خالد، وخلق كثير.

---

(١)– ينظر: غاية النهاية، ابن الجَزريّ (٤٢٤/١). معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ٤٦).

وقرأ عليه أبو عُبيد، وأحمد بن يزيد الحُلوَانيّ، وهارون بن موسى الأخفش، وأبو علي إسماعيل بن الحويرس، وأحمد بن محمد بن مامويه، والكثير غيرهم، وحَدَّث عنه الوليد بن مسلم، ومحمد بن شعيب، وغيرهما.

قال هشام بن عمار: سألت الله سبع حوائج: سألته أن يغفر لي ولوالديّ، فما أدري ما صنع في هذه، وسألته الستة فقضاهن لي، وهي الحج، وأن يُعَمّرني نحو المائة، وأن يجعلني مُصدّقا على حديث نبيه – صلى الله عليه وسلم –، وأن أخطب على منبر دمشق، وأن يرزقني ألف دينار حلالا، وأن يغدو الناس إليَّ في طلب العلم. تُوفيَ – رحمه الله – سنة ٢٤٥هـ.(١).

الرّاوي الثاني لابن عامر: ابن ذكوان:

هو أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان بن عُمر القرشيّ الدّمشقيّ، ويكنى أبو عمرو، ولد سنة ١٧٣هـ، وكان شيخ الإقراء بالشام وإمام الجامع الأمويّ، وشهد له الناس بالإتقان، أخذ القراءة عرضًا – مشافهة – عن أيوب بن تميم، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة بدمشق، قال أبو عمرو الحافظ وقرأ على الكسائي حين قَدِم الشام، وروى الحروف سماعًا عن إسحاق بن المسيبي عن نافع، وأبو محمد البهراني مولاهم الدمشقي المقرئ.
قرأ على ابن ذكوان هارون بن موسى الأخفش، ومحمد بن موسى الصوريّ، ومحمد بن القاسم الإسكندراني، وأحمد بن يوسف التغلبي، وآخرون. وقد حَدّث عن بَقِيَّة بن الوليد، وعِراك بن خالد، وسُويد بن عبد العزيز، والوليد بن مسلم، ووكيع بن الجراح، وطائفة.
روى عنه أبو داود وابن ماجه في سننهما، وولده أبو عبيدة أحمد بن عبد الله ابن ذكوان، وإسماعيل بن قيراط، وعبد الله بن محمد بن مسلم المقدسي، ومحمد بن إسحاق بن الحريص، وخلق كثيرٌ. توفي – رحمه الله – سنة ٢٤٢هـ.(٢).

---

[١]– ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢/٣٥٦). معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ١١٥).

[٢]– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ١١٧). غاية النهاية، ابن الجزريّ (١/٤٠٤).

القارئ الخامس: الإمام عاصم الكوفي:

هو أبو بكر عاصم بن أبي النَّجود الأسديّ، ويقال أبو النَّجود اسم أبيه وبِهدلة اسم أمه، وهو من التابعين، أحد القُرَّاء السبعة، وشيخ الإقراء بالكوفة، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي، جلس موضعه ورَحَلَ الناس إليه للقراءة عليه، وكان ثِقة جمع بين الفَصَاحة والضَّبط والإتقان والتحرير والتجويد والسُّنّة، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، قال أبو بكر بن عياش: لا أحصي ما سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول: ما رأيت أحدًا أَقْرَأَ للقرآن من عاصم بن أبي النّجود، وهو معدود في كِبار التابعين.

أخذ القراءة عرضاً –مُشافهةً – على أبي عبد الرحمن السُّلميّ، وزِرّ بن حُبيش، وحَدّثَ عنهما وعن أبي وائل، ومصعب بن سعد بن أبي وقاص، وقيل: إنه روى عن الحارث بن حسان البكري، ورفاعة بن يثربي التميميّ –رضي الله عنهما. روى عنه عطاء بن أبي رباح، وأبو صالح السمان وهما من شيوخه، وكثير غيرهم.

وروى عنه وقرأ عليه خَلْقٌ كثير لأنه جلَس لإقراء كتاب الله تعالى وقتاً طويلاً، ممن أخذ عنه سليمان بن مهران الأعمش، والمُفَضَّل الضَّبيّ، وحمَّاد بن شعيب، ونعيم بن ميسرة، وأبو بكر بن عيَّاش (شُعبة) وحفص بن سليمان وهما أهم الرواة عنه، كما روى عنه أبو عمرو البصريّ وحمزة الزَّيات وهما من القُرَّاء السَّبعة، والخليل بن أحمد الفراهيديّ اللُّغويّ، وسليمان التيمي، والثوري، وأبو عوانة، وسُفيان بن عُيَينة، وخلقٌ كثير غيرهم.

قال حفص – الراوي عن عاصم ورَبِيبُه (ابن زوجته) – قال لي عاصم ما كان من القراءة التي أقرأتُك بها فهي القراءة التي قرأتُ بها على أبي عبد الرحمن السُّلميّ عن عليّ بن أبي طالب، وما كان من القراءة التي أقرأتُها أبا بكر بن عياش – شُعبة الراوي عن عاصم – فهي القراءة التي كنت أعرضها على زِرّ بن حبيش عن عبد الله بن مسعود.

تُوفي – رحمه الله – سنة ١٢٩هـ. وقيل: غير ذلك. ودفن بالسّمَاوة في العراق باتجاه الشام، وقيل بالكوفة.(١).

راويا الإمام عاصم هما:

الراوي الأول: شعبة:

هو أبو بكر شُعبَة بن عَيّاش بن سالم الحَنّاط الأَسَديّ النَّهشليّ الكُوفِيّ، اختُلِف في اسمه على أقوال أَصَحّها أنّ اسمه شُعبة. وُلِد سنة ٩٥هـ، عُرِف بالصلاح والفقه، وكان عنده علم بأخبار الناس، وكان إمامًا عَلَماً كبيرًا عالمًا عاملًا حُجّةً، من كبار أئمة السُّنَّة، عَرَض القرآن مشافهةً على عاصم ثلاث مرات. أحد الأعلام الكِبار، مَوْلَى واصل الأحدب.

قرأ القرآن ثلاث مرات على عاصم بن أبي النَّجود، وعلى عطاء بن السائب، وأسلم المنقري، وروى عن إسماعيل السُّدّيّ، وأبي حصين، وحصين بن عبد الرحمن، وأبي إسحاق وعبد الملك بن عمير وصالح بن أبي صالح مولى عمرو بن حريث. وحدّث عن سليمان الأعمش، وطائفة سواهم، وكان سيدا إماما حجة كثير العلم والعمل، منقطع القرين، عَرَض عليه القرآن يعقوب بن خليفة الأعشى، وعروة بن محمد الأسدي، ويحيى بن محمد العليمي، وسهل بن شعيب، ، وعبد الحميد بن صالح البرجمي، ويحيى بن آدم وغيرهم الكثير.

وروى عنه أيضا عبد الله بن المبارك، مع تقدمه، وأبو داود الطَّيالِسِيّ، وأحمد بن حنبل، وأبو كُريب ومحمد بن عبد الله بن نمير، وعلي بن محمد الطنافسيّ، وخلق لا يُحصون. توفي – رحمه الله – سنة ١٩٣هـ (٢).

الرَّاوي الثاني لعاصم: حفص:

هو أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود الأسدي الكوفي البَزَّاز نسبة لبيع البَزّ أي "الثياب"، المقرئ الإمام صاحب عاصم، وابن زوجة عاصم، وُلِد سنة ٩٠هـ. أخذ

[١]– ينظر: غاية النهاية، ابن الجزريّ (٣٤٧/١). معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ٥١).

[٢]– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ٨٠). غاية النهاية، ابن الجزريّ (٣٢٦/١).

القراءة عَرضًا – مشافهة – وتَلقِينًا عن عاصم وكان ربيبه – ابن زوجته –، نزل بغداد فأقرأ فيها وجاور بمكة وأقرأ بها أيضاً، وكان كثير الحفظ والإتقان، وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته، وأقرأ الناس دهراً.

روى الحديث عن علقمة بن مرثد، وثابت بن أسلم البناني، وأبي إسحاق السَّبيعيّ، وكثير بن زاذان ومحارب بن دثار، وإسماعيل السدي وليث بن سليم، وخلق كثير.

قال أبو عمرو الداني: قرأ عليه عَرضًا – مشافهة – وسماعا عمرو بن الصباح، وأخوه عُبيد بن الصباح، وأبو شعيب القوّاس، وحمزة بن القاسم، وحسين بن محمد المروزي، وخلف الحداد، وخلقا كثيراً سواهم.

وروى عنه بكر بن بكار، وآدم بن أبي إياس، وأحمد بن عبده، وهشام بن عَمَّار، وعلي بن حجر، وعمرو الناقد، وهبيرة التمار، وآخرون. كان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأ بها على عاصم –أقرأ الناس– دهرا. توفي رحمه الله سنة ١٨٠هـ (١).

القارئ السادس: الإمام حمزة الكوفي:

هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي، الإمام الكوفي، مولى آل عكرمة بن ربعي التميمي أصله فارسي، الزَّيّات أحد القراء السبعة. ولد سنة ٨٠هـ، لُقّب بالزَّيّات لأنه كان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان ثم يجلب منها الجُبن، والجوز، وكان إماما قَيِّماً لكتاب الله قانتاً لله شديد الورع، رفيع الذكر، وكان ثقَةً حُجَّة عالما بالحديث والفرائض والعربية، حافظًا للحديث، عابدًا خاشعًا زاهدًا،. أدرك بعض الصحابة، وكان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش، وأدرك الصحابة بالسِّنّ فلعله رأى بعضهم، وقرأ القرآن عَرضًا – مشافهةً – على سليمان بن مهران الأعمش؛ وحمران بن أعين، ومحمد

---

[1]– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ٨٤). غاية النهاية، ابن الجَزريّ (١/٢٥٤).

بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبي إسحاق السّبيعيّ، وقرأ أيضا على طلحة بن مُصَرِّف، وجعفر الصادق، وطائفة وغيرهم.

وتصدر للإقراء مدة، وقرأ عليه عدد كثير، وحدث عن طلحة بن مُصَرّف، وحبيب بن أبي ثابت، والحكم وعمرو بن مرة، وعدي بن ثابت، وربيع بن زياد، وسعيد بن أبي الجهم، وسُليمان بن يحيى الضَّبيّ، وسُليم بن منصور، وسفيان الثوري، وشريك بن عبد الله، وغيرهم، كما قرأ عليه الكسائي وسليم بن عيسى وهما أجَلّ أصحابه، وعبد الرحمن بن أبي حماد، كما روى القراءة عنه إبراهيم بن أدهم، وإبراهيم بن إسحاق بن راشد، وإبراهيم بن عليّ الأزرق، وإسحاق بن يوسف الأزرق، وعابد بن أبي عابد، والحسن بن عطية، وعبيد الله بن موسى، وحجاج بن محمد، ويحيى بن علي الجزار، وسعيد بن أبي الجهم، ويحيى بن اليمان، وخلق كثير غيرهم. وحدث عنه الثوري. قال أبو حنيفة: لحمزة شيئان غلبتنا عليهما، لسنا ننازعك فيهما، القرآن والفرائض. توفي – رحمه الله – سنة ١٥٦هـ. (١).

راويا الإمام حمزة هما:

الرّاوي الأول: خلف:

هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب الأسدي البغدادي، ولد سنة ١٥٠هـ، حفظ القرآن وهو دون العاشرة، وابتدأ في طلب العلم وهو ابن ثلاث عشرة، كان إماماً كبيراً عالماً ثقة زاهداً عابداً، توفي رحمه الله سنة ٢٢٩هـ. وستأتي ترجمته (في القارئ العاشر) كاملة فيما يأتي (٢).

الرّاوي الثاني لحمزة: خلاد:

هو أبو عيسى خلاّد بن خالد الشيباني مولاهم الصيرفي الكوفي، الأحول المقرئ صاحب سليم. ولد سنة ١١٩هـ، كان إمامًا في القراءة ثقة عارفًا محققًا مجودًا أستاذًا ضابطًا متقنًا،

---

[١]– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذَّهبيّ (ص: ٦٦). غاية النهاية، ابن الجَزريّ (١/٢٦٢). سير النبلاء (٦/٥٣٠).

[٢]– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ١٢٣).

أخذ القراءة عَرضًا عن سُليم بن عيسى وهو من أضبط أصحابه وأجَلّهم، كما روى القراءة عن حُسين بن عليّ الجُعفيّ عن أبي بكر بن عياش (شُعبة)، وعن أبي بكر بن عياش (شُعبة) عن نفسه وعن عاصم، وعن أبي جعفر محمد بن الحسن الرواسي.

وحَدّث عن زهير بن معاوية، والحسن بن صالح، وغيرهما. أقرأ الناس مدة طويلة فقرأ عليه محمد بن شاذان الجوهري، ومحمد بن الهيثم، ومحمد بن يحيى الخُنَيسي، والقاسم بن يزيد الوزان، وهو أنبل أصحابه، وحدث عنه أبو زرعة، وأبو حاتم الرّازِيّان. كما روى القراءة عنه عَرضًا – مشافهةً – أحمد الحُلواني، وإبراهيم بن علي القصار، وإبراهيم بن نصر الرازي، وحمدون بن منصور، وسليمان بن عبد الرحمن الطلحي، وعلي بن حسين الطبري، وعلي بن محمد بن الفضل، وعنبسة بن النضر الأحمري. توفي – رحمه الله – سنة ٢٢٠هـ.(١).

القارئ السابع: الإمام الكِسَائِيّ الكُوفِيّ:

هو أبو الحسن عليّ بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي المقرئ النحوي. أحد الأئمة الأعلام وهو من أولاد الفُرس من سَواد – قُرى – العراق، ولد سنة ١١٩هـ، لقِّب بالكسائي لأنه أَحْرَم في كِسَاء، كان إمامُ الناس في القراءة في زمانه وأعلمهم بها، وكان أعلم الناس بالنحو وأوحدهم في الغريب، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، ولد في حدود سنة عشرين ومائة، وسمع من جعفر الصادق، والأعمش. وزائدة، وسليمان بن أرقم وجماعة غيرهم، وقرأ القرآن وجوده عَرضًا – مشافهةً – على حمزة بن حبيب الزيات أربع مرات وعليه اعتماده.

ونقل أبو عمرو الداني وغيره: أن الكسائي قرأ على محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وعيسى بن عمر الهمداني، ورَحَل إلى البصرة فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد الفراهيديّ، وفيها أخذ عنه القراءة عرضًا وسماعًا الكثير من القُرّاء منهم إبراهيم بن زاذان، وإبراهيم بن الحريش، وأحمد بن جبير، وحفص بن عمر الدوري وزكريا بن وردان، وعبد الله بن أحمد بن

---

(١)– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ١٢٤). غاية النهاية، ابن الجزريّ (١/٢٧٤).

ذكوان، وأبو الحارث الليث الراوي عنه، وقتيبة بن مهران الأصبهاني، وأبو عُبيد القاسم بن سَلّام، ومحمد بن سفيان، وغيرهم.

وحدث عنه: يحيى الفراء، وخلف البزار، ومحمد بن المغيرة، وإسحاق بن أبي إسرائيل، ومحمد بن يزيد الرّفاعيّ، ويعقوب الدّورقيّ، وأحمد بن حنبل ومحمد بن سعدان، وعدد كثير غيرهم. وإليه انتهت الإمامة في القراءة والعربية.

وقد ألَّف كُتُباً كثيرة أهَمُّها: كتاب معاني القرآن، وكتاب القراءات، وكتاب العدد، وكتاب النوادر الكبير، والأوسط، والأصغر، وكتاب في النحو، وكتاب الهِجاء، وكتاب مقطوع القرآن وموصوله، وكتاب الحروف. توفي – رحمه الله – سنة ١٨٩هـ.(١).

راويا الإمام الكِسائيّ هما:

الراوي الأول: أبو الحارث:

هو أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي، المقرئ صاحب الكسائي، والمقدم من بين أصحابه، كان ثقة حاذقًا ضابطًا للقراءة محققًا لها، عَرَض على الكسائي وهو من جُلّة أصحابه. وسمع الحروف من حمزة الأحول، وأبي محمد اليزيدي. كما قرأ على سلمة بن عاصم، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير توفي – رحمه الله – سنة ٢٤٠هـ. (٢).

الراوي الثاني للكسائيّ: الدوري:

هو أبو عمرو حفص بن عمر الدوري البغدادي، ولد سنة ١٥٠هـ، وتوفي – رحمه الله – سنة ٢٤٦هـ. وهو الراوي الأول لأبي عمرو البصري وهناك ترجمته كاملة (٣).

---

[١]– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ٧٣). غاية النهاية، ابن الجَزريّ (٥٣٥/١).

[٢]– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ١٢٤). غاية النهاية، ابن الجَزريّ (٣٤/٢)

[٣]– ينظر ترجمته كاملة في الراوي الأول للإمام أبي عمرو البصري.

القارئ الثامن: الإمام أبو جعفر المدني:

هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني القارئ، من التابعين، وكان إمام فقيه ثقة قليل الحديث، إمام أهل المدينة في القراءة، وكان رجلاً صالحاً كبير القدر يفتي الناس بالمدينة، انتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة المنورة، وهو أحد القرّاء العشرة، تَابعيّ مدنيٌّ مشهور، رفيع الذِّكْر كَبير القَدْر، قيل: اسمه جندب بن فيروز وقيل: فيروز. قرأ القرآن، على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي وِفَاقاً.

وقيل: قرأ أيضا على أبي هريرة وابن عباس – رضي الله عنهما–، عن قراءتهم على أُبَيّ بن كعب، وصلّى بعبد الله بن عمر وحَدّث عن أبي هريرة وابن عباس، تصدى لإقراء القرآن دهرا. حتى قيل إنه قرأ على زيد بن ثابت لكن هذا لم يَصِحّ، قرأ عليه نافع بن أبي نعيم المَدَنيّ القارئ، وسليمان بن مسلم بن جماز، وعيسى بن وردان راوياه المعروفان عنه، وابناه إسماعيل ويعقوب وبنته ميمونة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وحدث عنه الإمام مالك بن أنس صاحب المذهب، وعبد العزيز الدَّرَاوَرْدِيّ، وعبد العزيز بن أبي حازم، وقد وثّقَهُ الإمامان يحيى بن معين، والنَّسائيّ، قال عنه يحيى بن معين: كان إمام أهل المدينة في القراءة فسمي القارئ بذلك، وكان ثقة قليل الحديث.

قال عنه ابن جماز: أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما وهو صوم داود –عليه السلام– واستمر على ذلك مدة من الزمان فقال له بعض أصحابه في ذلك فقال: إنما فعلت ذلك أروّض به نفسي لعبادة الله تعالى.

قال أبو عُبَيد في كتاب القراءات: كان أبو جعفر يُقْرِئُ الناس في مسجد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قبل وقعة الحَرَّة، وكانت موقعة الحَرَّة سنة ثلاث وستين هجرية. وكان أبو جعفر من أقرأ الناس.

قال عن نفسه أنه أُتِيَ به إلى أُم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة. وتوفي رحمه الله سنة ١٣٠هـ.(١).

راويا الإمام أبو جعفر المدنيّ هما:

الراوي الأول: ابن وردان:

هو أبو الحارث عيسى بن وردان الحَذَّاء المَدَنيّ القارئ، من قدماء أصحاب نافع، ومن أصحابه في القراءة على أبي جعفر، كان مقرئًا، رأسًا في القرءان ضابطًا محققًا، قرأ على أبي جعفر القارئ، وشَيبة بن نِصَاح ثم عَرَض – قرأ مشافهة – على نافع المدنيّ القارئ المعروف، وهو من قدماء أصحابه. ولعله مات قبله. روى عنه القراءة عرضا إسماعيل بن جعفر المدني، وقالون، والواقدي وغيرهم. توفي – رحمه الله – سنة ١٦٠هـ. (٢).

الرَّاوي الثاني لأبي جعفر: ابن جمّاز:

هو أبو الربيع سُليمان بن محمد بن مُسْلِم بن جَمّاز الزُّهريّ مولاهم المَدَنيّ، كان مُقرِئًا جليلًا، ضَابطًا مُتقِناً نبيلًا يقصدُه الكثيرين لِيأخذوا عنه قِراءتي الإمامان أبي جعفر ونافع المَدنيّان، وهو أحد رواة قراءة أبي جعفر. قرأ ابن جمَّاز على: أبي جعفر يزيد بن القعقاع، وشيبة بن نِصَاح، ونافع بن أبي نُعَيْم، وغيرهم.

قرأ عليه: إسماعيل بن جعفر، وأخوه يعقوب بن جعفر بن أبي كثير الأنصاريّ المدنيّ، وقُتَيبة بن مهران، والوليد بن مسلم، ومحمد بن عمر الواقديّ.

كما حدَّث ابن جمَّاز عن أبي جعفر، وشيبة بن نِصَاح، وخالد بن إياس. وحدَّث عنه: إسماعيل بن جعفر، والوليد بن مسلم، وغيرهم. توفي – رحمه الله – سنة ١٧٠هـ.

---

[١]– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذهبيّ (ص: ٤٠). غاية النهاية، ابن الجزريّ (٢/٣٨٢).

[٢]– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ٦٦).

القارئ التاسع: الإمام يعقوب البصري:

هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري، مولى الحضرميين، وُلِدَ سنة ١٧٧هـ، كان قارئ أهل البصرة في عصره، ثقةً في القراءة، عالمًا بالعربية ووجوهها، والقراءات واختلافها، وكان فاضلًا تقيًا نقيا ورعًا زاهدًا، انتهت إليه رئاسة القراءة بعد أبي عمرو البصريّ، كما كان إمام جامع البصرة فترة طويلة.

قرأ القرآن على أبي المنذر، سَلّام بن سُلَيم، وعلى أبي الأشهب العطَارديّ، ومهدي بن ميمون، وسمع من حمزة بن حبيب الزَّيّات القارئ، وشُعبة وهارون بن موسى النَّحويّ، وسُلَيم بن حَيَّان، وهَمّام بن يحيى، وأبي عقيل الدورقي، والأسود بن شيبان. وبرع في القراءة عليه راوياه روح بن عبد المؤمن، ورُوَيْس محمد بن المتوكل، وأحمد بن عبد الخالق المكفوف، وأبو حاتم السجستاني وأبو عمر الدوري، وخلق سواهم.

وَحَدّث عنه أبو حفص الفَلّاس، وأبو قِلابة الرّقَاشيِّ، وإسحاق بن إبراهيم، ومحمد بن يونس الكديمي، قال أبو حاتم السجستاني: هو أعلم من رأيت بالحروف، والاختلاف في القرآن وعِلَلِه، ومذاهب النحو. كان لا يلحن في كلامه، كان أبو حاتم من بعض تلامذته، وقال أبو القاسم الهُذَليّ: لم يُرَ في زمن يعقوب مثله. توفي – رحمه الله – سنة ٢٠٥هـ. (١).

راويا الإمام يعقوب الحضرميّ هما:

الراوي الأول: رُوَيْس:

هو أبو عبد الله بن محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري، كان إمامًا في القراءة، قيّمًا بها ماهرًا، ضابطًا مشهورًا حاذقًا، المعروف رُوَيْس، أخذ القراءة عرضا – مشافهة – عن يعقوب الحضرمي قال أبو عمرو الدَّانيّ: وهو من أَحذَقِ أصحاب يعقوب وأَضْبَطِهِم، روى القراءة عنه عَرضًا – مشافهة – محمد بن هارون التَّمّار، والإمام أبو عبد الله الزبير بن أحمد الزبيري الشافعي، قال الزهري: وسألت أبا حاتم عن رويس: هل قرأ على يعقوب؟ فقال: نعم

[1]– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ٩٤).

قرأ معنا وختم عليه ختمات وتصدر للإقراء بعدهُ، قرأ عليه محمد بن هارون التمار، وأبو عبد الله الزبيري، الفقيه الشافعي، توفي – رحمه الله – بالبصرة سنة ٢٣٨هـ.(١).

الراوي الثاني ليعقوب الحضرميّ: رَوْح:

هو أبو الحسن رَوْح بن عبد المؤمن الهُذَليّ مولاهم البصري النحوي المقرئ، كان مقرئًا جليلًا، ثقةً ضابطًا مشهورًا، من أجلّ أصحاب يعقوب وأوثقهم، عرض – قرأ مشافهة – على يعقوب الحضرمي وهو من أجَلّ أصحابه وروى عن أحمد بن موسى، ومعاذ ابن معاذ، وابنه عُبَيد الله بن معاذ، وعن محمد بن صالح المرّيّ، عرض عليه الطيب بن الحسن بن حمدان القاضي وأبو بكر محمد بن وهب الثقفي، ومحمد بن الحسن بن زياد، وأحمد بن يزيد الحُلوانيّ، وأحمد بن يحيى الوكيل، ومسلم بن سلمة.

كان مُتقِناً مُجَوّداً، روى أيضا عن أبي عوانة وحَمَّاد بن زيد، وجعفر بن سليمان الضّبعيّ، وروى عنه البخاري في صحيحه وهذا دليل ثقته في الحديث أيضاً؛ وعبد الله بن أحمد، ومطين وأبو خليفة. وإبراهيم بن محمد بن نائلة الأصبهاني، وأبو يعلى الموصلي. وقد ذكره ابن حبان في الثقات. توفي – رحمه الله – سنة ٢٣٥هـ.(٢).

القارئ العاشر: الإمام خلف البزار الكوفي:

هو الإمام أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزّار البغدادي، البَغداديّ المُقرِئ، أحد الأئمة الأعلام المُقرِئين الكِبار، له اختيار قرأ وأقرأ به وهو اختياره الذي خَالَف فيه حمزة الزّيّات، قرأ على سُلَيم عن حمزة، أحد القُرّاء العشرة، واحد الرُّواة عن سُليم عن حَمزة. وُلد سنة ١٥٠هـ.

حفظ القرآن وهو ابن عَشْر سِنين، وابتدأ في طلب العِلْم وهو ابن ثلاث عشرة، وكان ثقةً كبيراً زاهداً عابداً عالِماَ، وسمع من الإمام مالك بن أنس، وأبي عَوانة، وحماد بن زيد، وأبي شهاب عبد ربه الحنَّاط، وأبي الأحوص. وحماد بن يحيى، وقرأ أيضا على أبي يوسف

١– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ١٢٦). غاية النهاية، ابن الجزريّ (٢/٢٣٤).

٢– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ١٢٦). غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزَريّ (١/٢٨٥).

الأعشى عن عاصم، وأخذ حرف نافع عن إسحاق المسيّبي. أخذ القرآن عرضا عن سُلَيم بن عيسى، وعبد الرحمن بن أبي حماد عن حمزة الزّيات، ويعقوب بن خليفة الأعشى، وأبي زيد سعيد بن أوس عن المُفَضَّل الضَّبيّ، كما روى الحروف عن إسحاق المسيبي، وإسماعيل بن جعفر، وعبد الوهاب بن عطاء، ويحيى بن آدم، وعبيد بن عقيل.

قرأ عليه أحمد الحُلوانيّ، وأحمد بن إبراهيم، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير، وإدريس بن عبد الكريم الحداد، ومحمد بن الجهم، وسلمة بن عاصم، وخلق سواهم. وحَدَّث عنه مسلم في صحيحه، وأبو داود، وأحمد بن حنبل وأبو زُرعة الرازي، وأحمد بن أبي خيثمة ومحمد بن إبراهيم بن أبي السراج وأبو يعلى الموصلي، وأبو القاسم البغوي، وعدد كثير.

وَثَّقه ابن معين والنسائي، وكان عابدا فاضلا. وقال حمدان بن هانئ المقرئ: سمعت خلف بن هشام يقول: أُشكِل علي باب من النحو، فأنفقت ثمانين ألف درهم، حتى حذقته – أتقنتُه –، وقال الحُسين بن فهم: ما رأيت أنبل من خلف بن هشام. كان يبدأ بأهل القرآن ثم يأذن للمحدثين، وكان يقرأ علينا من حديث أبي عوانة خمسين حديثا، وكان كثير الصوم.

قال ابن أشتة: كان خَلَف البَزَّار يأخذ بمذهب حمزة إلا أنه خالفه في مائة وعشرين حرفاً في اختياره لنفسه، توفي – رحمه الله – سنة ٢٢٩هـ. ببغداد وهو مُختَفٍ من الجهمية.
وهو راوي عن الإمام حمزة الكوفي وقد اختار لنفسه قراءة اشتهر بها (١).

راويا الإمام خَلَف البَزّار (العاشر) هما:

الرَّاوي الأول: إسحاق:

هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله المروزي ثم البغدادي الورّاق، كان ثقة، قيّمًا بالقراءة، ضابطًا لها، كان ورَّاقاً – كاتباً – لخلف وراوي اختياره عنه ثقة، قرأ على خَلَف اختياره لنفسه، وقام به بعده، كما قرأ أيضا على الوليد بن مسلم، وكان قيّما بالقراءة

[١]– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ١٢٣). غاية النهاية، ابن الجَزَريّ (٢٧٢/١).

عنه، وقرأ عليه محمد بن أبي عُمر النَّقّاش، والحَسن بن عثمان البرصاطي، وعليّ بن موسى الثَّقفيّ وابنه محمد، وابن شنبوذ، توفي – رحمه الله – سنة ٢٨٦هـ.(١).

الراوي الثاني لِخَلَف البزّار: إدريس:

هو أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي، المقرئ كان إمامًا، ضابطًا، مُتقنًا، ثقةً. قرأ على خَلَف البَزّار، وروى عن عاصم بن علي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، ومصعب بن عبد الله، وطائفة. وأقرأ الناس كثيراً ورَحَل إليه طُلّاب عِلم القراءات من البلاد، لشدة ضبطه وإتقانه وعُلُوّ سَنَده. قرأ عليه أبو الحسن أحمد بن ثوبان، ومحمد بن أحمد بن شنبوذ، وأبو بكر بن مقسم، وأبو علي أحمد بن عبد الله بن حمدان، والحسن بن سعيد المُطوّعي الذّي قارب المائة.

وحَدَّث عنه ابن مجاهد، وأبو بكر النجار، وإسماعيل الخطبي، وأبو بكر بن حمدان القطعي وأبو القاسم الطبراني، وآخرون. وقرأ على خَلَف بن هشام، روايته اختياره وهو أتقن رواته وأهَمّ الآخذين عنه، كما قرأ على محمد بن حبيب الشموني، وموسى بن عبيد الله الخاقاني، أبو بكر النَّقّاش، وعلي بن الحسين الرّقّي، وأحمد بن عبد الرحمن بن الفضل، وعبد العزيز بن الشُّوكة ومحمد بن عبيد الله الرّازيّ، ومحمد بن عبد الله بن أبي مرة، وعبد الله بن أحمد بن الهيثم، والحسن بن محمد بن عبد الرحمن وعبد الله بن أحمد بن عبد الله السُّلميّ، سئل عنه الدارقطني فقال: ثقة وفوق الثقة بدرجة. توفي – رحمه الله – سنة ٢٩٢هـ.(٢).

القراءات الأربعة الشاذَّة:

القارئ الأول: يحيى اليزيدي:

يحيى بن المبارك اليزيدي الإمام أبو محمد البصري النحوي، المقرئ عُرِف باليزيدي، لاتصاله بيزيد بن منصور، خال المهدي ومؤدب ولده. جَوّد القرآن على أبي عمرو

---

[١]– ينظر: غاية النهاية، ابن الجَزَريّ (١/١٥٥).

[٢]– ينظر: غاية النهاية، ابن الجزريّ (١/١٥٤) معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ١٤٥).

البصريّ، وحدث عنه وعن ابن جريج. قرأ عليه الدوريّ والسوسيّ راويا أبي عمرو البصريّ، وأحمد بن جبير الأنطاكي، وأبو أيوب الخياط، وسليمان بن الحكم، وطائفة سواهم، وله اختيار كان يُقرئ به خالف فيه أبا عمرو في يسير، وقد اتصل بالرشيد وأَدّب المأمون.

وكان ثقة علامة فصيحا مفوها، بارعا في اللغات والآداب، أخذ عن الخليل وغيره. وله عدة تصانيف منها: كتاب النوادر: كتاب المقصور، وكتاب الشَّكل، وكتاب نوادر اللغة. وله عدة أولاد فضلاء علماء، محمد وعبد الله وإبراهيم، وإسماعيل وإسحاق، أخذوا عنه. كما أخذ عنه ابن ابنه أحمد بن محمد. توفي – رحمه الله – سنة ٢٠٢هـ.(١).

القارئ الثاني: ابن مُحيصن:

هو محمد بن عبد الرحمن بن مُحيصِن السّهمي –مولاهم– المكي، وقيل: اسمه عمر، وقيل: غير ذلك. عرض على: مجاهد بن جبر، ودرباس، وسعيد بن جبير، وغيرهم.

عرض عليه: شِبل بن عباد، وأبو عمرو بن العلاء، وسمع منه حروفا إسماعيل بن مسلم المكي، وعيسى بن عمر البصري، وغيرهم.

هو مقرئ أهل مكة، كان معاصراً للإمام المقرئ ابن كثير المكيّ، وحميد الأعرج، وكان ثقة، وأعلم قراء مكة –في عصره– بالعربية وأقواهم عليها.

قال ابن مجاهد: كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية، فخرج به عن إجماع أهل بلده، فرغب الناس عنه وتركوه. توفي – رحمه الله – بمكة سنة ١٢٣هـ.

القارئ الثالث: الإمام الحسن البصري:

هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، مولى الأنصار. ولد سنة ٢١هـ لسنتين بقيتا من خلافة سيدنا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قرأ على حطان بن عبد الله الرقاشيّ عن أبي موسى الأشعري، وعلى أبي العالية عن أُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعمر بن الخطاب، وغيرهم.

---

[١]– ينظر: معرفة القراء الكبار، الذّهبيّ (ص: ٩٠).

روى عنه: أبو عمرو البصري، وسَلّام الطويل، ويونس بن عبيد، وعاصم الجحدري، وسمع منه عيسى بن عمر النحوي، وغيرهم.

قال ابن الجزري: إمام زمانه علمًا وعملًا، وهو من خيرة التابعين. وأخبار علمه وزهده معروفة يُضرب بها المثل، وإذا أطلق "الحسن" عند أهل الحديث فهو المراد به، مناقبه جليلة، كان فصيح العبارة، سليم اللغة. وتوفي – رحمه الله – سنة ١١٠هـ.

القارئ الرابع: الإمام الأعمش:

هو أبو محمد سُليمان بن مهران الأعمش الأسدي الكاهلي –ولاءً– الكوفي، مولى بني أسد. ولد سنة ٦١هـ. أخذ القراءة عرضًا عن: إبراهيم النخعي، وزِرّ بن حُبَيْش، وعاصم بن أبي النَّجود، ومجاهد بن جبر، ويحيى بن وثاب، وأبي العالية الرياحي، وغيرهم.
وروى عن: عبد الله بن أبي أوفَى، وأبي وائل، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبي عمرو الشيباني، وخلق آخرين. روى القراءة عنه عَرضًا وسماعًا: حمزة الزيات – أحد القراء السبعة– وابن أبي ليلى، وزائدة بن قدامة، وعرض عليه: طَلحة بن مُصَرّف، وإبراهيم التميمي، ومنصور بن المعتمر، وغيرهم.
كان – رحمه الله – حافظًا متثبتًا، واسع العلم بالقرآن، وَرِعًا ناسكًا، مجانبًا للسلاطين، وكان يُسَمَّى بـ"المصحف"؛ لشدة إتقانه، وضبطه، وتحريه. قال هشام: ما رأيت بالكوفة أحدًا أقرأ لكتاب الله –تعالى– من الأعمش. توفيَ – رحمه الله – سنة ١٤٨هـ. (١).

ترجمة الإمام الشاطبي:

هو أبو محمد وقيل: أبو القاسم، القاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد الرُّعَينِيّ الضرير الشاطبي، وَلِيّ الله الإمام العلّامة، أحد الأعلام الكبار والمشتهرين في الأقطار، سنة ٥٣٨هـ. في مدينة شاطبة بالأندلس، كُف بصره صغيراً وعنيت به أسرته فحفظ القرآن الكريم، كان إماماً متقناً ثبتاً، حجة في علوم القرآن والقراءات والحديث واللغة، آية في الفهم والذكاء وحِدّة الذهن وقوة الإدراك مع زهد ودين وورع وإخلاص، كان له أثر كبير في رسوخ

[1]– ينظر: صفحات في علوم القراءات (ص: ٣٨٠)، وغاية النهاية، لابن الجزريّ. ومعرفة القراء الكِبار للذّهبي.

قواعد التجويد والقراءات، ومن أشهر مؤلفاته (حرز الأماني ووجه التهاني) في القراءات السّبع المعروفة بالشاطبية، وقصيدة (عقيلة أتراب القصائد) في الرسم العثماني.

قرأ ببلده القراءات وأتقنها على أبي عبد الله محمد بن أبي العاص النَّفْزِيّ ثم رحل إلى بِلَنْسِية بالقرب من بلده فعرض بها التيسير من حفظه والقراءات على ابن هذيل، وسمع منه الحديث وروى عنه وعن أبي عبد الله محمد بن أبي يوسف بن سعادة وعن الشيخ أبي محمد عاشر بن محمد بن عاشر صاحب أبي محمد البطليوسي وعن أبي محمد عبد الله بن أبي جعفر المُرسيّ. ثم رحل للحج فسمع من أبي طاهر السلفي وغيره بالإسكندرية، ولما دخل مصر أكرمه القاضي الفاضل وعرف مقداره، وأنزله بمدرسته التي بناها بالقاهرة وجعله شيخها وعظمه تعظيما كثيرا، ونظم بها قصيدتيه (الشاطبية) والرائية عقيلة أتراب القصائد، وجلس للإقراء بمصر وقصده الطلاب من كل مكان، وزار بيت المقدس بعد ما فتحه صلاح الدين الأيوبي، وبقي في القاهرة حتى توفي – رحمه الله – سنة ٥٩٠هـ.(١).

ترجمة الإمام ابن الجزري:

هو أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجَزريّ، ولد سنة ٧٥١هـ في مدينة دمشق، أَتَمّ حِفظ القرآن الكريم وهو في الثالثة عشر من عمره، وصلي به وهو ابن أربعة عشر، وأفرد القراءات وعمره خمسة عشر، وجمعها وهو ابن سبعة عشر، وأجازه خال جده محمد بن إسماعيل الخَبّاز، وسمع الحديث من جماعة من أصحاب الفخر بن البخاري وغيرهم وأفرد القراءات على الشيخ أبي محمد عبد الوهاب بن السَّلّار، والشيخ أحمد بن إبراهيم بن الطحان، والشيخ أحمد بن رجب، وجَمَع للسبعة على الشيخ المُجَوِّد إبراهيم الحَمويّ، ثم جمع القراءات على الشيخ أبي المعالي بن اللَّبان، ورَحَلَ للحج فقرأ على الشيخ أبي عبد الله محمد بن صالح الخطيب والإمام بالمدينة الشريفة، ثم رحل إلى الديار المصرية فجمع القراءات الإثني عشر على الشيخ أبي بكر عبد الله بن الجندي، وللسبعة على العَلّامة أبي عبد الله محمد بن الصائغ، والشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن البغدادي.

---

[1]- ينظر: غاية النهاية، ابن الجَزريّ (٢٠/٢).

وأجازه وأذن له بالإفتاء كثير من الشيوخ منهم: شيخ الإسلام إسماعيل بن كثير صاحب التفسير المشهور، وكذلك أذن له الشيخ ضياء الدين، وكذلك شيخ الإسلام البُلْقِينيّ.

ثم جلس للإقراء وتنقل في البلاد لنشر علم القراءات سنينَ طويلة فقرأ عليه ما لا يُحصى من طلبة العِلم منهم: الإمام جمال الدين محمد بن محمد الشهير بابن افتخار الهروي، وشمس الدين محمد بن الدباغ البغدادي، والسيد محمد بن حيدر المُسبّحيّ، وإمام الدين عبد الرحيم بن بياض الأصبهانيّ، والشيخ سليمان بن بياض، والشيخ أحمد ابن الشيخ رجب، وممن قرأ عليه بالعشرة ولم يكمل ولده أبو الفتح محمد بن الجزريّ.

كما جلس للإقراء في الجامع الأموي فترة طويلة، وولي مشيخة الإقراء الكبرى بتربة أُمّ الصّالح بعد وفاة شيخه عبد الوهاب بن السّلّار، وقرأ عليه القراءات جماعة كثيرون، فممن أكمل عليه القراءات العشر بالشام ومصر ابنه أبو بكر أحمد بن الجزريّ، والشيخ محمود بن الحسين الشِّيرَازيّ، والشيخ أبو بكر الحمويّ، وولي مشيخة الإقراء الكبرى، وولي قضاء الشام، وسافر إلى تركيا وإيران، ومن أشهر مؤلفاته: منظومة طيبة النشر في القراءات العشر، وكتاب النشر في القراءات العشر، وكتاب التمهيد في أحكام التجويد، وعند إقامته بالمدينة المنورة، قرأ عليه شيخ الحرم الطَّواشيّ، وأَلَّفَ في القراءات كتاب نشر القراءات العشر، والتقريب، وتحبير التيسير في القراءات العشر، وكتاب تاريخ القراء وطبقاتهم وغيرها من الكتب، توفي – رحمه الله – بمدينة شِيرَاز في إيران الآن سنة ٨٣٣هـ.(١).

أشهر الروايات في العصر الحالي:

ومن الروايات المشهورة والمنتشرة التي يقرأ بها عامة الناس في عصرنا الحالي:

رواية حفص عن عاصم: وهي أكثر رواية منتشرة في العالم الإسلامي.

[١]– ينظر: غاية النهاية، ابن الجَزريّ (٢/٢٤٧).

رواية ورش عن نافع: وهي منتشرة في بلاد المغرب العربي: (الجزائر والمغرب وموريتانيا)، وفي غرب إفريقيا: (السنغال والنيجر ومالي ونيجيريا وغيرها) وإلى حد ما بعض نواحي مصر وليبيا وتشاد وجنوب وغرب تونس.

رواية قالون عن نافع: منتشرة في تونس وبعض بلاد المغرب العربي.

رواية الدوري عن أبي عمرو البصري: يقرأ بها بعضاً من أهل الصومال، والسودان، وتشاد، ونيجيريا، وأواسط إفريقية.

تنبيه: عدا هذه الروايات لا يقرأ بها عامة الناس بل بين أهل العلم والقراء.

أسباب انتشار بعض القراءات:

من الأسباب العامّة:

- اختيار الأئمة للقراءات والروايات، سواء كانوا أئمة المذاهب الفقهية أو أئمة القراءات.
- تأثير الأقطار الإسلامية بعضها على بعض من حيث القراءات المتيسّرة لديها.
- الطباعة كطباعة مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة برواية حفص عن عاصم، والذي يطبع كِميّات كبيرة ويرسلها لدول العالم. كذلك التسجيل الصوتي لأشهر القُرّاء برواية معينة كتسجيل الشيخ محمود خليل الحصري والشيخ محمد صديق المنشاويّ، والشيخ عبد الباسط عبد الصّمد وغيرهم، ووسائل الإعلام التي تتحرّى رواية بعينها وتعمل على نشرها بطريقتها.

ومن الأسباب الخاصّة:

- اعتقاد بعض الناس بأنّ قراءة أبي عمرو أفصح من القراءات الأخرى.
- اعتقاد بعض الناس أنّ قراءتي نافع وعاصم أصحّ سندًا من القراءات الأخرى.
- اعتقاد بعض الناس سُنِّيّة قراءة نافع دون القراءات الأخرى.

وختاماً:

فهذه تِطوافة بسيطة بهذه الصفحات، بين كُتب التجويد والقراءات، قد جمعتها ورتّبْتُها رجاء أن يستفيد منها طالب علم التجويد والقراءات، وهذا جُهد بشريّ لا يخلو من الأخطاء

فمن وجد فيه بُغيَته فليدعُ لي بظهر الغيب، ومن وجد خطأً أو خَللًا فليَسُدُّه ما استطاع، وليستغفر الله لي وليُنَبّهني عليه بقدر استطاعته، وهنا أتمثّلُ قول الإمام الشاطبيّ في منظومته حِرزُ الأماني ووجه التهاني.

- أَخي أَيُّهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ *** يُنَادَى عَلَيْهِ كَاسِدَ السُّوْقِ أَجْـــمِلَا

- وَظُنَّ بِهِ خَيْراً وَسَامِحْ نَسِيجَهُ *** بِالإِغْضاَءِ وَالْحُسْنَى وَإِنْ كانَ هَلْهَلَا

- وَسَلِّمْ لإِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِصَابَةٌ *** وَالأُخْرَى اجْتِهادٌ رَامَ صَوْباً فَأَمْحَلَا

- وَإِنْ كانَ خَرْقُ فَادَّرِكْهُ بِفَضْلَةٍ *** مِنَ الْحِلْمِ ولْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلَا

والحمد لله على التمام، وأسأله سبحانه أن يجعل هذه الصفحات حجة لي عند لقائه، وأن يجعله في ميزان حسناتي ووالدَيّ ومشايخي وكل من ساهم في إعداده ولو بكلمة طيبة.

شكر خاص لكل القائمين والداعمين لمعهد نور القرآن الكريم بكاربلتا- بشكيك - قيرغيزيا.

وكتبه:

د. عبد الجواد أحمد آل موسى السيوطي.

أبو محمود

كان الفراغ منه فجر يوم   من شهر   ١٤٤٥هـ. الموافق / /٢٠٢٣م.

إني كتبت وأيقنت يوم كتابتي   أن يدي تفنى ويبقى كتابُها

فإن عملت خيرًا ستجزى بمثله   وإن عَمِلَت سوءًا فعليها حسابها

والحمد لله ربّ العالمين.

الفهرس:

المحتويات



إصدار موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

